الله ولي التوفيق

قرأ عليّ هذه المقامات الحريرية صاحبها القاضي
الاجل الاوحد زين الدين ابو القسم عمر ولد سيدنا
القاضي الامام الاجل الاوحد قاضي القضاة نجم الدين
جمال الاسلام ابي الحسن احمد بن هبة الله بن محمد بن ابي جرادة
ادام الله سعادته واخبرته بها عن جماعة منهم رضي الدين
ابو سعيد محمد بن علي العراقي وناصح الدين سعيد بن المبارك بن علي
رحمهما الله وكل منهم اخبرني بها عن مصنفها ابي محمد القاسم بن
علي بن محمد الحريري البصري رحمه الله وقد اجزت له ان يرويها عني
وكتب الحسن بن هبة الله بن محمد بن عمرو الموصلي بحلب حرسها الله تعالى
تاسع عشر رجب المبارك سنة ستمائة والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم وهو حسبي ونعم الوكيل

قرأ على المقامات [illegible] مصنفها ابي القسم بن علي الحريري رحمه الله [illegible]
القاضي السيد العالم [illegible] الاسلام ابو [illegible]
[illegible] الامام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب انعمت فزد

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان كما نحمدك
على ما أسبغت من العطاء وأسبلت من الغطا ونعوذ بك من شرة
اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر
ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح واغضا المسامح كما نستكفي
بك الانتصاب لازرا القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات
الى خطط الخطيات ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد
وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مويدا
بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس
وبصيرة ندرك بها عزفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية
وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية
وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصائد الالسنة
ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف
مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ الى معذرة عن
بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية
ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا
اليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا
كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل

ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين
وأعليت درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وأنت أصدق القائلين
إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
اللهم صل عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا
لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين إنك على كل شيء قدير
وبالإجابة جدير وبعد فإنه جرى ببعض أندية الأدب الذي
ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي
ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزا إلى أبي الفتح
الإسكندري نشأتها وإلى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا
يعرف ونكرة لا تتعرف فأشار من إشارته حكم وطاعته
غنم إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع
شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو
بيتين واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ويفرط
الوهم ويسبر غور العقل ويبين قيمة المرء ويضطر صاحبه
إلى أن يكون كحاطب ليل أو جالب رجل وخيل فلما سلم مكثار
أو أقيل له عثار فلما لم يسعف بالإقالة ولا أعفي من المقالة
لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع
وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد

القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره
وملح الأدب ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن
الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية
والأحاجي النحوية والفتاوي اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب
المحبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية مما أمليت
جميعه على لسان ابي زيد السروجي وأسندت روايته إلى
الحرث بن همام البصري وما قصدت بالإحماض فيه الا تنشيط
قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم أودعه من الأشعار الأجنبية
الا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية
وآخرين توأمين ضمنتهما المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري
أبو عذرته ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي بأن البديع
رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء
مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته
ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته
كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق
بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم

يحسبون صنعا على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب
المحابي لا اكاد اخلص من غمر جاهل او ذي غمر متجاهل يضع مني
لهذا الوضع ويندد بانه من مناهي الشرع ومن نقد الاشيا بعين
المعقول وانعم النظر في مباني الاصول نظم هذه المقامات
في سلك الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات
والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات او
اثم رواتها في وقت من الاوقات ثم اذا كانت الاعمال بالنيات
وبها انعقاد العقود الدينيات فاي حرج على من انشا ملحا
للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحا التهذيب لا الاكاذيب وهل هو في ذلك
الا بمنزله من انتدب لتعليم او هدى الى صراط مستقيم
على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا
وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم واسترشد الى ما
يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق
الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه انيب

المقامة الاولى

تعرف بالصنعانية

حدث الحرث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وانأتني
المتربة عن الاتراب طوحت بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن
فدخلتها خاوي الوفاض بادي الانفاض لا املك بلغة ولا اجد

في جوابي صقعة فطفقت أجوب طرقها مثل الهائم وأجول في حوماتها
جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي
كريما أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو أديبا تفرج رؤيته
غمتي وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة المطاف وهدتني
فاتحة الألطاف إلى نادٍ رحيب محتوٍ على زحام ونحيب فولجت
غابة الجمع لأسبر مجلبة الدمع فرأيت في بهرة الحلقة شخصا
شخت الخلقة عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة وهو
يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه
وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر والأكمام
بالثمر فدلفت إليه لأقتبس من فوائده وألتقط بعض فرائده فسمعته
يقول حين خبّ في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله أيها
السادر في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته
الجانح إلى خزعبلاته إلامَ تستمر على غيك وتستمرئ
مرعى بغيك وحتامَ تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك
تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك
على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك
وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن
أن ستنفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين

توبقك اعمالك او تغني عنك ندمك اذا زلت قدمك او يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما ايقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت واذكرك الموت فتناسيت وامكنك ان تواسي فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على بر توليه وترغب عن هاد تستهديه الى زاد تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات اعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ثم انشد

تبا لطالب دنيا ثني اليها انصبابه

ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه
ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته
وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه
لمزايلة مركزه ادخل كل منهم يده في جيبه فافعم له سجلا
من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك او فرقه على رفقتك
فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه
ليخفى عليهم مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه
قال الحرث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره
من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة
فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه
فوجدته مجاذيا لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما
خابية نبيذ فقلت له يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك
فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي
حتى خفت ان يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره
لبست الخميصة ابغي الخبيصة وانشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي احبولة اريغ القنيص به والقنيصه
والجاني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه

على انني لم اهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصه
ولو انصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت
عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا
ابو زيد السروجي سراج الغربا وتاج الادبا فانصرفت
من حيث اتيت وقضيت العجب مما رايت

المقامة الثانية وتعرف بالحلوانية

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمايم
ونيطت بي العمايم بان اغشى معان الادب وانضي
اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون لي زينة بين
الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه
والطمع في تقمص لباسه اباحث من جل وقل واستسقي
الوبل والطل واتعلل بعسى ولعل فلما احللت حلوان
وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت
ما شان وزان الفيت بها ابا زيد السروجي يتقلب
في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب

فيدعي تارةً انه من آل ساسان ويعتزي مرةً الى اقيال غسان
ويبرز طوراً في شعار الشعراء ويلبس حيناً كبر الكبراء بيد انه
مع تلوّن حاله وتبيّن محاله يتحلى برواءٍ وروايةٍ ومداراةٍ
ودرايةٍ وبلاغةٍ رايعةٍ وبديهةٍ مطاوعةٍ وادابٍ
بارعةٍ وقدمٍ لاعلام العلوم فارعةٍ فكان لمحاسن آلاته
يلبس على علّاته ولسعة روايته يصبى الى رؤيته ولخلابة
عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف
بمراده فتعلقت باهدابه لخصايص ادابه ونافست في مصافاته
لنفايس صفاته فكنت به اجلو همومي واجلي زماني طلق
الوجه ملتمع الصبا ارى قربه قربى ومغناه غنيةً ورؤيته
ريّاً ومحياه لي حيا ولبثنا على ذلك برهةً يبني لي كل يومٍ نزهةً
ويدرأ عن قلبي شبهةً الى ان جرحت له يد الاملاق دائر
الفراق واغراه عدم العراق بتطليق العراق ولفظته
معاوز الارفاق الى مفاوز الآفاق ونظمه في سلك
الرفاق خفوق راية الاخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمه
وظعن يقتاد القلب بازمّته

فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ندّ ندٌّ لفضله ولا ذو خلالٍ حاز مثل خلاله

اي خلاله

واستنشي عنه حيناً لا أعرف له عريناً ولا أجد عنه مبيناً
فلما أبت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي
منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل
ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في
أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين
بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال
ديوان ابي عبادة المشهود له بالاجادة فقال هل عثرت له
فيما لمحته على بديع استملحته فقال نعم قوله

كأنما يبتسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فانه ابدع في التشبيه المودع فيه فقال يا للعجب وللضيعة الادب
لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم أين أنت
عن البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وأنشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه
وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله أم ميت فقال أيم الله
للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع انه يا قوم لنجيكم
منذ اليوم قال فدار للجماعة ارتياب بعزوه وأبت تصديق

دعوته فتوجس ما هجس في افكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم
وبادر ان يفرط اليه ذم فقرأ ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة
القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك
ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان
عند الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي
للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من
حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة
بمثاله فان اثرت اجتلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب

فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب حتى انشد فاغرب

سالتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر ... وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما انس
استيناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق
كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين اخرين وانشد

واقبلت يوم جد البين في حلل ... سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح اقلهما ... غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا
عشرته وجملوا قشرته قال الراوي فلما رايت تلهب جذوته

المعجز بهذه الحكاية

وقال لو جلوته امعنت في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه
فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمر ليله الدجوجي فهنأت
نفسي بمورده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي احال
صفتك حتى جهلت معرفتك واي شيء شيب لحيتك حتى انكرت
حليتك فانشا يقول

وقع الشوائب شيب ... والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص ... ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو اضرى ... بك الخطوب والب
فما على التبر عار ... في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة
تعرف بالقيلية

روى الحارث بن همام قال نظمني واخدانا لي ناد لم يخب فيه
مناد ولا كبا فيه زناد ولا ذكت نار عناد فبينما نحن نتجاذب
اطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف
بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير الذخائر
وبشائر العشائر عموا صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا
الى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدى وعقار وقرى

ومفاد وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب
وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت
الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع واقوى
المجمع واقض المضجع واستحالت الحال واعول العيال
وخلت المرابط ورحم الغابط واودى الناطق والصامت
ورثى لنا الحاسد والشامت فلما دهمنا الدهر الموقع والفقر
المدقع الى ان احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا
الجوى وطوينا الاحشا على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا
الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا
الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حر آس
او سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد امسيت اخا عيلة
لا املك بيت ليلة قال الحرث بن همام فاويت لمفاقره
ولويت الى استنباط فقره فابرزت له دينارا وقلت له
اختبارا ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في
الحال من غير انتحال

اكرم به اصفر راقت صفرته ... جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ... قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحببت الى الانام غرته
كانما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرته

وان تفانت او توانت عترته ۝ يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته ۝ كم آمر به استتبت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته ۝ وجيش همّ هزمته كرّته
وبدر تمّ انزلته بدرته ۝ ومستشيط تتلظى جمرته
قد اسرّ نجواه فلانت شرّته ۝ وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرّته ۝ وحقّ مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ثم بسط يده بعدما انشده وقال انجز حرّ ما وعد وسحّ خال اذ رعد فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير ماسوف عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهلت عليّ ائتناف اغترام فجرّدت دينارا اخر وقلت هل لك في ان تذمّه ثم تضمّه فانشد مرتجلا وشدا عجلا

تبًّا له من خادع ممارق ۝ اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ۝ زينة معشوق ولون عاشق
وحبّه عند ذوي الحقائق ۝ يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ۝ ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمار باجل من طارق ولا اشكا الممطول مطل العايق
ولا استعيذ من حسود راشق وشر ما فيه من الخلايق
ان ليس يغني عنك في المضايق الا اذا فر فرار الابق
واها لمن يقذفه من خالق ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق لا راي في وصلك لي ففارق
فقلنا له ما اعزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته بالدينار
الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فالقاه في فمه وقرنه
بتوامه وانكفا يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه
قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد وان تعارجه
لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم
في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت
بين كرام فقلت انا الحارث فكيف حالك والحوادث
قال انقلب في الحالين بوس ورخاء وانقلب مع الريحين
زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك
من هزل فاستسر بشره الذي كان تجلى ثم انشد حين ولى
تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لاقرع باب الفرج
والقي حبلي على غاربي واسلك مسلك من قد مرج

فإن لامني القوم قلت اعذروا فليس على اعرج من حرج

تعرف بالدمياطية

المقامة الرابعة

اخبر الحارث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط
وانا يومئذ مرموق الرخاء موموق الاخاء اسحب مطارف
الثراء واجتلي معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا
عصا الشقاق وارتضعوا افاويق الوفاق حتى لاحوا
كاسنان المشط في الاستوا وكالنفس الواحدة في التيام
الاهوا وكنا مع ذلك نسير النجا ولا نرحل الا كل
هوجا واذا نزلنا منزلا او وردنا منهلا اختلسنا
اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب في ليلة
فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نضا
الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى
وملنا الى الكرى صادفنا ارضا مخضلة الربا معتلة
الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها
الخليط وهدا بها الاطيط والغطيط سمعت صيتا من
الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك
وجيرتك فقال ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال

لمن صال واحتمل الخليط ولو ابدى التخليط واود الحميم ولو
جرعني الحميم وافضل الشفيق على الشقيق واوفي
للعشير وان لم يجازي بالعشير واستقل الجزيل للنزيل
واغمر الزميل بالجميل وانزل سميري منزلة اميري واحل
انيسي محل رئيسي واودع معارفي عوارفي واولي مرافقي
مرافقي والين مقالي للقالي وادبم تسالي عن السالي
وارضى من الوفاء باللفاء واقنع من الجزا باقل الاجزاء ولا انظلم
حين اظلم ولا انقم ولو لدغني الارقم فقال له صاحبه
ويلك يا بني انما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكن انا لا آتي
غير المواتي ولا اسيم العاني بمراعاني ولا اصافي من يابى
انصافي ولا اواخي من يلغي الاواخي ولا امالي من يخيب آمالي
ولا ابالي بمن صرم حبالي ولا اداري من جهل مقداري
ولا اعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا ابذل ودادي لاضدادي
ولا ادع ايعادي المعادي ولا اغرس الايادي في ارض
الاعادي ولا اسمح بمواساتي لمن يفرح بمساتي ولا ارى
الفاني لمن يشمت بوفاتي ولا اخص بحباي الا احباي
ولا استطب لدائي من يتمنى اذاي ولا املك خلتي من لا يسد
خلتي ولا اصفي نيتي لمن يتمنى منيتي ولا اخلص دعاي لمن لا يفعم

وعاي ولا افرغ ثناي على من يفرغ اناي ومن حلم بان
ابدل ونحزن والين ونخشن واذوب ونجمد وادكى
ونخمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى
في الفعال حذو النعال حتى نامن التغابن ونكفى التضاغن
والا فلم اعللك وتعللني واقيلك وتستقيلني واخرج
لك وتخرج لي واشرح اليك وتشرح لي وبهذا تجتلب انصاف
بضيم ولن تشرق شمس مع غيم ومتى اصحب وقد تعسف
فاي حر رضي خطة خسف ولله ابوك اذ يقول

جزيت من اعلق بي ودّه جزاء من يبني على اسّه
ودنت للخل كما كال لي على وفا الكيل او بخسه
ولم اخسّره وشرّ الورى من يومه اخسر من امسه
وكلّ من يطلب عندي جنى فما له الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه
وربّ مذاق الهوى خالني اصدقه الودّ على لبسه

وما درى من جهله انني أفضى عن نمى الذي من جنسه

فاهجر من استغبال هجر القلى وهبه كالمجلود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن انسه

ولا ترج الود ممن يرى انك محتاج الى فلسه

قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى ان اعرف عينهما فلما لاح ابن ذكا والحف الجو الضيا غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت استقري صوب الصوت اللبقي واتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى ان لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا البارحة وصاحبا رواتي فقصدتهما قصد جلف بذاتهما رائف لرثاثتهما وعرضت عليهما التحول الى حلتي والتحكم في كثري وقلي وطفقت استر بين السيارة فضلهما واهز الاعواد المثمرة لهما الى ان غمرا بالنحلان واخذا من الخلان وكنا بمعرس تبين منه مباني القرى وتبين نيران القرى فلما راى ابو زيد امتلا عيبته وانجلا بوسه قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ افتاذن في قصد قرية لاستحم وانقضي هذا المهم فقلت اذا شئت فالرجعة الرجعة فقال ستجدني مطلعي اليك اسرع من ارتداد الطرف ثم استن استنان الجواد

في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل انه غر وطلب المفر
فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه بالطلايع والرواد
الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال امد
الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار قلت لاصحابي قد تناهينا
في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان اضعنا الزمان وبان ان الرجل
مان فتاهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لاحدج
راحلتي واتحمل لرحلتي فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر
لا تحسبا اني نايت عن ملال او اشر
لكنني مذ لم ازل ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرات الجماعة القتب ليعذره من كان عتب فاعجبوا
بطرافته وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاض عناه

المقامة الخامسة

تعرف بالكوفية

حكى الحرث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين
وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا
على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ
منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان
غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا

النهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح
فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

قد دفع الليل الذي اكفهرا ... الى ذراكم شعثا مغبرا

اخا سفار طال واسبطرا ... حتى انثنى محقوقفا مصفرا

مثل هلال الافق حين افترا ... وقد عرا فناءكم معترا

وامكم دون الانام طرا ... يبغي قرى منكم ومستقرا

فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما امرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه
ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا
وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي احلني ذراكم لا تلمظت
بقراكم او تضمنوا لي الا تتخذوني كلا ولا تجشموا لاجلي اكلا
فرب اكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر
الاضياف من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا
اذى يعلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام وما قيل في المثل
الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشي

ويجتنب اكل الليل الذي يعشي اللهم الا ان تقد نار الجوع
وتحول دون الهجوع قال فكانه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس
عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا على خلقه
السبط ولما احضر الغلام ما راج واذكى بيننا السراج تاملته
فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل
المغنم البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر او استسر
بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم
وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها
وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وابو زيد مكب على اعمال
يديه حتى اذا استرفع ما لديه قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب
اسمارك او عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من
العجائب ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وان من اعجبها ما عاينته
الليلة قبيل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن
طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال ان مرامي الغربة لفظتني
الى هذه التربة وانا ذو مجاعة وبؤسى وجراب كفؤاد ام موسى
فنهضت حين سجا الدجى على ما بي من الوجى لارتاد مضيفا او اقتاد
رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى ابا العجب

الى ان وقفت على باب دار فقال شعر

حييتم يا اهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل

ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل اليل

جوي الحشا على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم ماكل

ولا له في ارضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل

وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل

يقول لي الق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز اليه جؤذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... واسس المحجوج في ام القرى

ما عندنا لطارق اذا عرا ... سوى الحديث والمناخ في الذرى

وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى اعظمه لما انبرى

فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشأي فيد ووردت الى هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس

فقلت له زدني ايضاحا عشت ونعشت فقال اخبرتني امي برة
وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من
سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان
باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف
احي هو فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد
فعلمت بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف
اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة
فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب فقلنا لا
ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق
وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها في الآفاق
فاحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها
ثم استنبطناه عن مرتآه في استضمام فتاه فقال اذا ثقل
ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب
من المال الفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني
نصاب ~~من المال~~ وهل يحتقر قدره الا مصاب قال الراوي
فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند
ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى انا استطلنا

القول واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي السمر ما ازرى
بالحبر الى ان اظل التنوير وحسر الصبح المنير فقضيناها ليلة
غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها
الى ان انفطر عمودها ولما ذرّ قرن الغزالة طمر طمور
الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الاحالات
فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين الى ولدي فوصلت
جناحه حتى سنيت نجاحه فحين اجزل العطي في صرته
برقت اسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطى
قدميك والله خليفتي عليك فقلت اريد ان اتبعك
لاشاهد ولدك النجيب واثافنه لكيما يجيب فنظر
الي نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت
مقلتاه بالدموع ثم انشد

شعر

يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت
ما خلت ان يستسر مكري وان يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت
وانما لي فنون سحر ابدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت

تجد بها وصلة إلى ما جنيته كفي متى اشتهيت

ولو تعاقبنا الحالات حالي ولم أحو ما حويت

فمهد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا وتعرف بالجفاء

المقامة السادسة

روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان البراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب هذا الأوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية فكان كلما نشط القوم في شوطهم ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبئ تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركد الزعازع وكف المنازع أقبل

البراح
القلم
النوط
المخرنبق
الكنائن الجعاب

على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدا وجرتم عن القصد جدا
وعظمتم العظام الرفات وأفنتم في الميل الى من فات وغمصتم
جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات
أنسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته
طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات
المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة
والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا انعم النظر من حضر
غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة
عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد واني
لاعرف الان من اذا انشا وشى واذا عبر حبر وان اسهب
اذهب واذا اوجز اعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع
فقال له ناظورة الديوان وعين اولئك الاعيان من قارع
هذه الصفاة وقريع هذه الصفات قال انه قرن مجالك
وقرين جدالك واذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا
لترى عجيبا فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لا يستنسر
والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف
للنضال فخلص من الداء العضال او استثار نقع الامتحان فلم
يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض

عن نُصاحة الناصح فقال كلُّ امرئٍ أعرف بوسم قِدحه وسيَسفر
الليلُ عن صُبحه فتناجت الجماعةُ في ما يُسبَر به قَليبُه ويُعجَم
به تقليبُه فقال أحدهم ذروه في حِصّتي لأرميه بحجر
فصّتي فإنها عُضلة العُقد ومِحكّ المنتقد فقلّدوه في هذا
الأمر الزعامة تقليدَ الخوارج أبا نعامة فأقبل على الكهل
وقال اعلم أني أوالي هذا الوالي وأُرفّه حالي بالنبان
الحالي وكنت استعنت على تقويم أوَدي في بلدي بسعة ذات
يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أمّمته من
أرجاي برجاي ودعوته لإعادة رُواي وارواي فهشّ للوفادة
وراح وعدا بالإفادة وراح فلما استأذنته في المراح إلى
المُراح على كاهل المِراح قال قد أزمعت ألّا أزوّدك بتاتا
ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ أمام ارتحالك رسالة تودعها
شرح حالك حروف إحدى كلمتيها يعمّها النقط وحروف الأخرى
لم يُعجَمن قط وقد استأنيت بياني حولا فما أحار قولا
وتيّهت فكري سنة فما ازداد إلا سِنة واستعنت
بقاطبة الكتّاب فكلٌّ منهم قطّب وتاب فإن كنت
صدعت عن وصفك باليقين فأتِ بآية إن كنت من الصادقين
فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت أُسكوبا

وأعطيت القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم
قريحته واستمد لقريحته وقال له ألق دواتك وخذ أداتك
واكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم
غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع يثيب والمعور
يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي
والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال يشجي والدعاء يقي
والمدح ينقي والحر يجزي والإلطاط يخزي واطراح
ذي الحرمة غي ومحرمة بني الآمال بغي وما ضن إلا غبين
ولا غبن إلا ضنين ولا خزن إلا شقي ولا قبض راحة تقي
وما فتئ وعدك يفي وآراؤك تشفي وهلالك يضي وحلمك
يغضي وآلاؤك تغني وأعداؤك تثني وحسامك يفني
وسؤددك يبني ومواصلك يجتني ومادحك يقتني
وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض وزندك
يغيض ومؤملك شيخ حكاه فيء ولم يبق له شيء أملك بظن
حرصه يثب ومدحك بحب مهره يخب ومرامه يخف
وأواصره تشف وإطراؤه يجتذب وملامه يجتنب
ووراءه صفف مسهم شظف وحسهم جنف وعمهم تشف
وشنو في دمع يجيب وله يذيب وهم نضيف وكمد

نبف لمأمول خيب وإهمال شيب وعدو بيت وهدو تغيب
ولم يرع ودّه فيغض ولا خشي عوده فيقض ولا نفث
صدره فينفض ولا نشر وصله فيغض وما يقتضي كرم نبذ
جرمه فيبض أمله بتخفيف ألمه بيت حمد لبن عالمه
بقيت لإماطة شجب وإعطاء نشب ومداواة شجن ومراعاة
يقن موصول لا خفض وسرور غض ما غشي معهد غني أو حشي
وهم غبي والسلم   فلما فرغ من إملاء رسالته وجلى في
حلبة البلاغة عن بسالته أرضته الجماعة فعلا وقولا
وأوسعته حفاوة وطولا ثم سئل من أي الشعوب نجاره
وفي أي الشعاب وجاره فقال

شعر

غسان أسرتي الصميمة   وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس إشراقا ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمه
واها لعيش كان لي فيها وللذات عميمه
أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمه
أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمه
لا أتقي نوب الزمان ولا حوادثه الملميه

فلو ان كرًّا بامتلاف لتلفت من كرّني المقيمه
او يفتدى عيش مضى لفديته بمهجتي الكريمه
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغار الى العظيمه والهضيمه
ويرى السباع تنوشها ايدي الضباع المستضيمه
والذنب للايام لولا شؤمها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نمي الى الوالي فملأ فاه باللآلي وسامه ان ينضوي الى احشائه ويلي ديوان انشائه فاحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الاباء قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبه على قدره قبل استنارة بدره فاوحى الي بايماض جفنه الا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فاعرض متبسما وانشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السراب ولا تات الامر اذا ما اشتبه

فكم جاهلٍ سرّه حلمه وأدركه الروع لمّا انتبه

المقامة السابعة تعرف بالبرقعيدية

حكى الحرث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة او اشهد بها يوم الزينة فلمّا اظلّ بفرضه ونفله واجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد للعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيّا تحية خافت ولما فرغ من دعائه اجال خمسته في وعائه فابرز منه رقاعًا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه القت رقعة منهن لديه قال فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذًا باوجاعٍ واوجالِ
وممنوًّا بمختالٍ ومحتالٍ ومغتالِ
وخوّانٍ من الاخوان قالٍ لي لاقلالي
واعمالٍ من العمّال في تضليع اعمالي

فكم أُصلى بإرجالٍ وإمحالٍ وترحالِ
وكم أخطر في بالٍ ولا أُخطر في بالِ
فليت الدهر لما جار أطفا لي أطفالي
فلولا أن أشبالي أغلالي وأغلالي
لما أصحرت آمالي إلى آلٍ ولا والِ
ولا جرّرت أذيالي على مسحب إذلالِ
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى بي
فهل حرّ يرى تخفيف أثقالي بمثقالِ
ويُطفي حرّ بلبالي بسربالٍ وسروالِ

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الأبيات تقت إلى معرفة ملحمها ورائم علمها فأوحى إليّ الفكر بأن الوصلة إليه العجوز وأفتاني بأن حلوان المعرّف يجوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفّا صفّا وتستوكف الأكف كفّا فكفّا وما إن نجح لها عناء ولا رشح على يدها إناء فلما أكدى استعطافها وكدّها مطافها عاذت بالاسترجاع ومالت إلى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج إلى بقعتي وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال إنا لله وأفوض أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

لم يبقَ ضافٍ ولا مُصافٍ ولا مَعِينٌ ولا مُعينٌ

وفي المساوي بدا التساوي فلا أمينٌ ولا ثمينٌ

ثم قال لها منّي النفس وعِدِيها واجمعي الرقاع وعُدِّيها فقالت
لقد عددتُها لما استعدتُها فوجدتُ يدَ الضياع قد غالت إحدى
الرقاع فقال تعساً لكِ يا لكاعِ أنُحرَمُ ويحكِ القَبصَ والحُبالة
والقبسَ والذُّبالة إنها لضغثٌ على إبالة فانصاعت تقتصّ مَدرجها
وتنشدُ مُدرِجها فلما دانتني قرنتُ بالرقعة درهماً وقطعة
وقلتُ لها إن رغبتِ في المشوف المُعلَم وأشرتُ إلى الدرهم
فبوحي بالسرّ المبهم وإن أبيتِ أن تشرحي فخذي القطعة
واسرحي فمالت إلى استخلاص البدر التمّ والأبلج الأهمّ وقالت
دع جدالك وسل عمّا بدا لك فاستطلعتها طِلعَ
الشيخ وبلدته والشعر وناسج بُردته فقالت إنّ الشيخ
من أهل سروج وهو الذي وشّى الشعر المنسوج ثم خطفت
الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق
فخالج قلبي أنّ أبا زيد هو المشار إليه وتأجّج كربي للمصاب بناظريه
وآثرتُ أن أفاجئه وأناجيه لأعجُمَ عودَ فراستي فيه
وما كنتُ أصل إليه إلا بتخطّي رقاب الجمع المنهيّ عنه في الشرع
وعِفتُ أن يتأذّى بي قومٌ أو يسري إليّ لومٌ فسددتُ
بمكاني وجعلتُ شخصه قيدَ عِياني إلى أن انقضت الخطبة

وحققت الرؤية فخففت إليه، وتوسمته على الإظلام حقيقته، فإذا
ألمعيتي ألمعية ابن عباس، وفراستي فراسة إياس، فعرفته حين
شخص، وآثرته بأحد قميصي، وأهبت به إلى قرصي، فهش لإعازتي
وعرفاني، ولبى دعوة رغفاني، وانطلق وبيدي زمامه، وظلي إمامه
والعجوز ثالثة الأثافي، والرقيب الذي لا يخفى عليه خاف، ولما
استجلى وكنتي، وأحضرته عجالة مكنتي، قال يا جارتي
أمعنا ثالث؟ فقلت: ليس إلا العجوز، قال: ما دونها سر محجوز
ثم فتح كريمتيه، ورأرأ بتوأمتيه، فإذا سراجا وجهه يتقدان
كأنهما الفرقدان، فابتهجت بسلامة بصره، وعجبت من غرائب
سيره، ولم يلقني قرار، ولا طاوعني اصطبار، حتى سألته
ما دعاك إلى التعامي، مع سيرك في المعامي، وجوبك الموامي
وإيغالك في المرامي، فتظاهر باللكنة، وتشاغل باللهنة
حتى إذا قضى وطره، أتاح إلي نظره، وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي: انهض إلى المخدع، فأتني بغسول يروق الطرف
وينقي الكف، وينعم البشرة، ويعطر النكهة، ويشد اللثة
ويقوي المعدة، وليكن نظيف الظرف، أريج العرف، فتي الدق، ناعم

السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة
نقية الاصل محبوبة الوصل انيقة الشكل مدعاة الى الاكل لها نحافة
الصب وصقال العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب
قال فنهضت فيما امر لادرأ عنه الغمر ولم اهم الى انه قصد ان يخدع
بادخالي المخدع ولا تطنبت انه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة
والغسول فلما عدت بالملتمس في اقرب من رجع النفس
وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد اجفلا فاستشطت
من مكره غضبا واوغلت في اثره طلبا فكان كمن قمس في
الماء او عرج به الى عنان السماء

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحارث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان ان تقدم خصمان
الى قاضي معرة النعمان احدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر
كانه قضيب البان فقال الشيخ ايد الله القاضي كما ايد
به المتقاضي انه كانت لي مملوكة رشيقة القد اسيلة
الخد صبور على الكد تخب احيانا كالنهد وترقد اطوارا
في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف ببنان وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض
وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى
ولكن من غير حياض ناصحة خادعة خباة طلعة مطوعة

على المنفعة ومطواعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت

ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك فحملت وربما

جنت عليك فآلمت وململت وإن هذا الفتى استخدمنيها

لغرض فأخذ منه إياها بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها

إلا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه ثم

أعادها وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها فقال الحدث

أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الإفضاء ففرط عن خطا

وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي مناسب الطرفين

منتسبا إلى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد

العين يفشي الإحسان ويستشي الاستحسان ويغذي الإنسان

ويتحامى اللسان إن سود جاد أو وسم أجاد وإذا زود

هب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى وقلما

ينكح إلا مثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد

مع قرينته وإن لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وإن

لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي أما أن تبينا وإلا فبينا

فابتدر الغلام وقال شعر

أعارني إبرة لأرفو أطمار أعفاها البلى وسودها

فانخرمت في يدي على خطأ مني لما جذبت مقودها

فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها إذ رأى تأودها

بل قال هات ابرة ثمنا لها او قيمة بعد ان تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها سبة تزودها
فاعين منها الرهن ويدي تقصر عن ان تفك مرودها
فاستبن بذا الشرح عوز مسكنتي وارث لمن لم يزل تعودها
فاقبل القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال
اقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناس لمن جنف مني
لو ساعفتني الايام لم يرني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت ابتغي بدلا من ابرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني بمصميات من هاهنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فانا نظيره في الشقاء وهو انا
لا هو يستطيع فك مروده اذ غدا في يدي مرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي وقصته فانظر الينا وبيننا ولنا
فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وخصوصهما
ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام
وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه
على وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم

مبتزي وسهمك لي على ارش ابتزني ولست عن الحوامل فقم
وخذ المثل وعز الحدث لما حرته اثبات وجرم له القاضي
وهيج اسفه على الدينار الماضي الا انه جبر بالا الفتى وبلباله
بدرهمان رضخ بهما له وقال لهما اجتنبا المعاملات
وادرآ المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس
الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي
ما خبوا صحبته منذ نض حجره ولا ينجلي كمده منذ رشح جلمده
حتى اذا افاق من غشيته اقبل على غاشيته وقال قد اشرب
حسي ونبأني حدسي انهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء فكيف
السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته
وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما فقفاهما
عونا بن يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني
سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم
الحدث واستقال واقدم الشيخ وقال شعر

أنا السروجي وهذا ولدي ۝ والشبل في المخبر مثل الاسد
وما تعدت يده ولا يدي ۝ في ابرة يوما ولا في مرود
وانما الدهر المسيء المعتدي ۝ مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد ۝ وكل جعد الكف مغلول اليد

عوض بها الامام

بكل فن وبكل مقصد ... بالجد ان اجدى والا بالدد
لتجلب الرشح الى الحظ الصدي ... وتنفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ... ان لم يفاجي اليوم فاجا في غد

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك وواها لك
لولا خداع فيك وانى لك لمن المنذرين وعليك من الحذرين فلا تمار
بعدها الحاكمين واتق سطوة المحتكمين فما كل مسيطر
يقيل ولا كل اوان تسمع الاقاويل فعاهده الشيخ على اتباع
مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جهته
والختر يلمع من جبهته قال الحرث بن همام فلم ار اعجب
منها في تصاريف الاسفار ولا قرات مثلها في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة تعرف بالاسكندرية

اخبر الحرث بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب
الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجني الثمار
واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه
العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب
اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص
مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويامن في الغربة
جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي

زماناً فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها
امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح فبينا أنا عند
حاكم الاسكندرية في عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات
ليفضه على ذوي الفاقات إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية
فقالت أيد الله القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة
وأطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي
الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان أبي إذا
خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف
وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة
ألا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي أن
حضر هذا الخدعة نادي أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق
شرطه وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة
فاغتر أبي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله
فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني إلى كسره
وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة
نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري فما برح
يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم والقضم إلى أن
مزق ما لي بأسره وأنفق ما لي في عسره فلما أنساني طعم
الراحة وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت له يا هذا إنه

لا مخبا بعد بوس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصنائعك
واجتني ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد
لما ظهر في الارض من الفساد ولي منه سلالة كانها خلال له وكلانا
ما ينال معه شبعة ولا يرقا له من الطوى دمعة وقد قدته
اليك واحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم بيننا
بما اراك الله فاقبل القاضي عليه وقال قد وعيت قصص عرسك
فبرهن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وامرت بحبسك
فاطرق اطراق الافعوان ثم شمر للحرب العوان وقال شعر

اسمع حديثي فانه عجب ... يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه ... عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها ... والاصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم ... طلابي وحبذا الطلب
وراس مالي سحر الكلام الذي ... منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاختار ... اللآلي منها وانتخب
واجتني اليانع الجني من القول ... وغيري للعود محتطب
واخذ اللفظ فضة فاذا ما ... صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا ... بالادب المقتنى واحتلب

وَيَمْتَطِي أَخْمَصِي لِحُرْمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ

وَطَالَمَا زُفَّتِ الصِّلَاتُ إِلَيَّ بَعْدُ فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

فَالْيَوْمَ مَنْ يَعْلَقُ الرَّجَاءُ بِهِ أَشَدُّ شَيْءٍ فِي سَوْمِهِ الْأَدَبُ

لَا عِرْضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلٌّ وَلَا نَسَبُ

كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جِيَفٌ يُبْعَدُ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَبُ

فَحَارَ لُبِّي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنَ اللَّيَالِي وَصَرْفِهَا عَجَبُ

وَضَاقَ ذَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَسَاوَرَتْنِي الْهُمُومُ وَالْكُرَبُ

وَقَادَنِي دَهْرِيَ الْمُلِيمُ إِلَى سُلُوكِ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ

فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي لَبَدٌ وَلَا بَتَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ

وَادَّنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي حَمْلُ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ

ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَا عَلَى سَغَبٍ خَمْسًا فَلَمَّا أَمَضَّنِي السَّغَبُ

لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ

فَجُلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْقَلْبُ

وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبِثْتُ بِهِ حَدَّ التَّرَاضِي فَيُحْدِثَ الْغَضَبُ

فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُّمُهَا أَنَّ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ

أَوْ أَنَّنِي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخْرَفْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرَبُ

وَالَّذِي سَارَتِ الرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا النُّجُبُ

مَا المكرُ بالمحصناتِ من شِيمي ولا شعاري التمويهُ والكذبُ
ولا يدي مُذ نشأتُ نِيطَ بها إلا مواضي اليراعِ والكُتُبُ
بل فِكرتي تنظِمُ القلائدَ لا كفّي وشعري المنظومُ لا السُّخُبُ
وهذه الحرفةُ المشارُ إليها كنتُ أحوي بها وأحتلبُ
فأذن لشرحي كما أذنتَ لها ولا تُراقِب وأحكم بما يجبُ

قال فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف القاضي إلى الفتاة بعد أن شُغِف بالأبيات وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام وميل الأيام إلى اللئام وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام بريًّا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرّح عن المحض وتبيّن مصداق النظم وتبيّن أنه معروق العظم وإعنات المعذر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي من غربك وسلّمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال تعلّلا بهذه العُلالة وتندّيا بهذه البُلالة واصبرا على كيد الزمان وكدّه فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار أو الموسر بعد الإعسار

قال الراوي وكنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه
ونزغت عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه
ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزوير لسانه فلا يرى
عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت عن القول احجام
المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب الا اني قلت
بعدما فصل ووصل الى ما وصل لو ان لنا من ينطلق في اثره
لاتانا بنفص خبره وما ينشر من حبره فاتبعه القاضي احد
امنائه وامره بالتجسس على انبائه فما لبث ان رجع متدهدها
وقهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم
فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشا لي طربا فقال له ماذا
رايت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق
بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت اصلى بلية من وقاح شمرية
وازور السجن لولا حاكم الاسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء
الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم
بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتادبين ثم قال
لذلك الامين علي به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد
لايه مخبرا بنايه فقال القاضي اما انه لو حضر

لكفى الحذر ثم لأولينه ما هو به أولى ولأرينه أن الآخرة خير له من
الأولى قال الحرث بن همام فلما رأيت صغو القاضي إليه وفوت
ثمرة التنبيه عليه عشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار
أو الكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن
طوق فلبيته ممتطياً شملة ومنتضياً عزمة مشمعلة فلما
ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد
نشت راسي رأيت غلاماً أفرغ في قالب الجمال وألبس من الحسن
حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدعي أنه فتك بابنه
والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير
الشرار والزحام عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار إلى أن
تراضيا بعد استشاط اللدد بالتنافر إلى والي البلد وكان ممن
يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا إليه
كالسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه
واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته
وطر عقله بتصفيف طرته فقال إنها أفيكة أفاك على عبر
سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي
للشيخ إن يشهد لك عدلان من المسلمين وإلا فاستوف

منه اليمين فقال الشيخ إنه جدّله خاشيا وأفاح دمه خاليا
فأنّى لي شاهد ولم يكن ثمّ مشاهد ولكن ولّني تلقينه اليمين
ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك لذلك مع وجدك
المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي
زيّن الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم
بالفلج والجفون بالسقم والأنوف بالشمم والخدود باللهب
والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف إنني ما
قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي
غمدا وإلا فرماني الله بالعمش وخدّي بالنمش وطرّتي بالجلح
وطلعي بالبلح وورْدي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق
وفضّتي بالاحتراق وشعاعي بالظلام ودواتي بالأقلام فقال الغلام
الاصطلاء بالبليّة ولا الإيلاء بهذه الأليّة والانقياد للقود
ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ إلا تجريعه اليمين
التي اخترعها وأمقر له جرعها ولم يزل التلاحي بينهما
يستعر ومحجّة التراضي تعر والغلام في ضمن تأبّيه
يخلب ألوالي بلوته ويطمعه في أن يلبّيه إلى أن ران هواه
على قلبه والتبّ بلبّه وسوّل له الوجد الذي تيّمه والطمع
الذي توهّمه أن يخلّص الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من
حبالة الشيخ ثم يقتنصه فقال للشيخ هل لك فيما هو

أبقى بالأقوى وأقرب للتقوى فقال لي الامر بشيء لا اتقيه ولا افند فيه
قال أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر على ما به ينفصل الحال فاحمل
منها بعضا وأجتبي لك الباقي عرضا فقال الشيخ ما مني خلاف
ولا بك لو عرك إخلاف فنقده الوالي عشرين ووزع على وزعته
تكملة خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل
فقال له خذ ما راج ودع اللجاج وعلي في غد أن أتوصل الى أن ينض
لك الباقي ويحصل فقال الشيخ أفعل على أن ألازمه ليلتي ويرعاه
انسان مقلتي حتى اذا اعطى بعد إسفار الصبح ما بقي من مال الصلح
تخلصت قابيله من قوب وبرئ براءة الذيب من دم ابن يعقوب
فقال له الوالي ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا
قال الحرث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية
علمت أنه هو علم السروجية فلبثت الى أن زهرت نجوم الظلام
وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فاذا الشيخ للفتى
كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحل الصيد
فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الاحلام فقال هو في النسب
فرخي وفي المكتسب فخي فقلت هلا اكتفيت بمحاسن فطرته
وكفيتنا الوالي الافتتان بطرته فقال لو لم يبرز جبهته
السين لما افترست الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفي
نار الجوى ونبل الدوى من النوى فقد اجمعت أن أنسل سحرة

قال فصلي فلبث الوالي بأرجستة قال فقضيت الليلة معه في سمر آنق
من حديقة زهر وخميلة شجر حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان
وآن انبلاج الفجر وحان تدرب من الطريق وأذاق الوالي عذاب
الحريق وسلم إلي ساعة الفراق رقعة محكمة الإلصاق
وقال إذ دفعها إلي الوالي إذا سلب القرار وتحقق منا الفرار
ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فإذا فيها مكتوب

قل لوال غادرته بعد بيني ... نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه ... لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه ... عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما تجدي ... طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل ... لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت منه فهما وحزما ... واللبيب الأريب من [illegible]
فاعص من بعدها المطامع واعلم ... أن صيد الظباء ليس بهين
ولا كل طائر يلج الفخ ... ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ... ولم يلق غير خفي [illegible]
فتبصر ولا تشم كل برق ... رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام ... تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس ... وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبل أعزل أم عذر

المقامة الحادية عشرة

حكى الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة
فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت
إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت جمعاً على قبر يحفر
ومجنوز يقبر فانحزت إليهم مفكراً في المآل ومتذكراً
من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف
شيخ من رباوة متخصر بهراوة وقد لفع وجهه بردائه
ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون
فادكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا
النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا
يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا
تستعدون لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع
ولا تعتبرون بنعي تسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون
لمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء
البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه
ويخلي بين وديده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده
طالما أسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الأحبة

واستنكفتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتخترون خلف الجنائز ولا تختركم يوم قبض الجوائز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كانكم قد علقتم من الحمام بذمام او حصلتم من الزمان على امان او وثقتم بسلامة الذات او تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما توهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم انشد

اما من يدعي الفهم · الى كم يا اخا الوهم · تعبي الذنب والذم
وتخطي الخطا الجم

اما بان لك العيب · اما انذرك الشيب · وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صم

اما نادى بك الموت · اما اسمعك الصوت · اما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم

وكم تسدر في السهو · وتختال من الزهو · وتنصب الى اللهو
كان الموت ما عم

وحتام تجافيك · وابطاء تلافيك · طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم

اذا اسخطت مولاك فما تقلق من ذاك وان اخفق مسعاك تلظيت من الهم

وان لاح لك النقش من الاصفر تهتش وان مر بك النعش تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر وتعتاص وتزور وتنقاد لمن غر ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس وتحتال على الفلس وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ لما طاح بك اللحظ ولا كنت اذا الوعظ جلا الاحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع اذا عاينت لا جمع يقي في عرصة الجمع ولا خال ولا عم

كاني بك تنحط الى اللحد وتنغط وقد اسلمك الرهط الى اضيق من سم

هناك الجسم ممدود ليستاكله الدود الى ان ينخر العود ويمسي العظم قد رم

وَمِنْ بَعْدُ فَلا بُدَّ مِنَ العَرْضِ إِذَا اعْتُدّ صِرَاطٌ جِسْرُهُ مُدّ
عَلَى النَّارِ لِمَنْ أَمّ

فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلّ وَمِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلّ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلّ
وَقَالَ الخَطْبُ قَدْ طَمّ

فَبَادِرْ أَيُّهَا الغُمْرُ لِمَا يَحْلُو بِهِ المُرّ فَقَدْ كَادَ يَهِي العُمْرُ
وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمّ

وَلا تَرْكَنْ إِلَى الدَّهْرِ وَإِنْ لانَ وَإِنْ سَرّ فَتُلْفَى كَمَنِ اغْتَرّ
بِأَفْعَى تَنْفُثُ السَّمّ

وَخَفِّضْ مِنْ تَرَاقِيكَ فَإِنَّ المَوْتَ لاقِيكَ وَسَارٍ فِي تَرَاقِيكَ
وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمّ

وَجَانِبْ صَعَرَ الخَدّ إِذَا سَاعَدَكَ الجَدّ وَزُمَّ اللَّفْظَ إِنْ نَدّ
فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمّ

وَنَفِّسْ عَنْ أَخِي البَثّ وَصَدِّقْهُ إِذَا نَثّ وَرُمَّ العَمَلَ الرَّثّ
فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمّ

وَرِشْ مَنْ رِيشُهُ انْحَصّ بِمَا عَمَّ وَمَا خَصّ وَلا تَأْسَ عَلَى النَّقْصِ
وَلا تَحْرِصْ عَلَى الكَمّ

وَعَادِ الخُلُقَ الرَّذْل وَعَوِّدْ كَفَّكَ البَذْل وَلا تَسْتَمِعِ العَذْل
وَنَزِّهْهَا عَنِ الضَّمّ

وزوّد نفسك الخير ودع ما يعقب الضير وهيّئ مركب السير
وخف من لجة اليم

بذا أوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى راح
بآدابي يأتمّ

ثم حسر عن ساعد شديد الأسر قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فاجتلب به أولئك الملا حتى أترع كمه وملا ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة

قال الراوي فجاذبته من وراء حاشية ردائه فالتفت إليّ مستسلما وواجهني مسلّما فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه فقلت له

إلى كم يا أبا زيد أفانينك في الكيد لتنحاش لك الصيد
ولا تعبأ بمن ذمّ

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصّر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى لا يقمر القوم
متى ما دسته تمّ

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبث نيتك إلا مثل روث مفضض أو كنيف مبيّض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات

الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

المقامة الثانية عشرة

حكى الحرث بن همام قال شخصت عن العراق الى الغوطة وانا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس الفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلق الهوى وطفقت افض بها ختوم الشهوات واجتني قطوف اللذات الى ان شرع سفر في الاعراق وقد استفقت من الاغراق فعادني عيد من تذكار الوطن والحنين الى العطن فقوضت خيام الغيبة واسرجت جواد الاوبة ولما تاهبت الرفاق واستتب الاتفاق اجتنابًا المسير دون استصحاب الخفير فرتدناه من كل قبيلة واعملنا في تحصيله الحيلة فاعوز وجدانه في الاحياء حتى ظننا انه ليس من الاحياء فحار لعوزه عزوم السيارة واتسدوا بباب جيرون للاستشارة فما زالوا بين عقد وحل ونقض وسجل الى ان نفد الناجي وقنط الراجي وكان حذاءهم شخص متسمه متسم الشطار ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة للسوان وقد قيد لحظه بالجمع وارهف

أذنه لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح الخفاء بهم
قال لهم يا قوم ليفرخ روعكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما
يسرّوا ذودكم ويبدوا طوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه
طلع الخفاره واستنبأنا الجعاله عن السفاره فزعم انها
كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الانام فجعل
بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين له
أنّا استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم
جدّي عبثا وجعلتم تبري خبثا ولطالما والله جبت مخاوف
الاقطار وولجت مفاحم الاخطار فغنيت بها عن مصاحبة
خفير واستصحاب جفير ثم اني سانفي ما رابكم واستسل
الحذر الذي نابكم بان اوافقكم في البداوه واوافقكم في
السماوه فان صدقكم وعدي فاجدوا واسعدوا واسعدوا
جدّي وان كذبكم فمي فمزقوا ادمي واريقوا دمي قال
الحرث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا
عن مجادلته واستهمنا على معادلته وفضمنا بقوله عرى
الريات والغينا اتقاء العائث والعابث ولما عكمت
الرحال وازف الترحال استقرينا كلماته الراقيه
لنجعلها الواقيه الباقيه فقال ليقرأ كلٌّ منكم أمّ القرآن
كلما اطلّ الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع
اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي

المخافات وبا كرم المكافاة وبا مومل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم انبيائك ومبلغ انبائك وعلى مصابيح اسرته ومفاتيح نصرته واعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين واجرني اللهم من جور المجاورين وسطوة الجائرين وكف عني اكف الضائمين واخرجني من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم احفظني في تربتي وغربتي وغيبتي واوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني وحولي وحالي ومآلي وما لي ولا تلحق بي تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بامنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني الى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاشي الآواء واكفني بغواشي الآلاء ولا تظفر بي اظفار الاعداء انك سميع الدعاء

ثم اطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسته خشية او اخرسته غشية ثم اقنع راسه

وصعد

وصعّد انفاسه وقال اقسم بالسماء ذات الابراج والارض
ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج
والهواء والعجاج انها لمن ايمن العوذ واغنى عنكم من لابس
الخوذ من دسّها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب
الى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق بات من ليلته من السرق
قال فتلقفناها حتى اتقناها وتدارسناها لكي لا ننساها
ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات
بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة
ولا يستنجز منا العدات حتى اذا عاينا اطلال عانة
قال لنا الاعانة الاعانة فاحضرناه المعلوم والمكتوم
واريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما انت قاض
فما تجد فينا غير راض فما استخفه سوى الخف ولا جلى
بعينه غير العين فاحتمل منهما وقره وناء بما يسد
فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا انصلات
الفرار فاوحشنا فراقه وادهشنا امتراقه ولم نزل
ننشده بكل نادٍ ونستخبر عنه كل مغدٍ وهادٍ الى ان
قيل انه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فاغرانى
خبث هذا القول بسبره والانسلال فيما لست من
سلكه فادلجت الى الدسكرة في هيئة منكرة فاذا
الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله

سقاة تمش وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر
وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة
يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت
على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون
أأنسيت يوم جيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول الصبى والمرح
وميطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى شرب راح لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهاء الرفاق لأرض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط ستور الحيا واطرح
وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اللثام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك فزند أساك به قد قدح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح
وخص الغبوق بساق يسوق بلا ما المشوق إذا ما طمح
وغاد تشد بصوت غرد حداني الحد له إن صدح

وتباص عود ضرب بالأنامل

وَعَاصِ النَّصِيحَ الذي لا يُبِيح ... وِصَالَ المَلِيحِ إذَا مَا سَمَحْ
وَجُلْ فِي المَجَالِ وَلَوْ بِالمُحَالِ ... وَدَعْ مَا يُقَالُ وَخُذْ مَا صَلَحْ
وَفَارِقْ أبَاكَ إذَا مَا أبَاكَ ... وَمُدَّ الشِّبَاكَ وَصِدْ مَنْ سَنَحْ
وَصَافِ الخَلِيلَ وَنَافِ البَخِيلَ ... وَأَوْلِ الجَمِيلَ وَوَالِ المِنَحْ
وَلُذْ بِالمَتَابِ أمَامَ الذَّهَابِ ... فَمَنْ دَقَّ بَابَ كَرِيمٍ فَتَحْ

فَقُلْتُ لَهُ بَخٍ بَخٍ لِرِوَايَتِكَ وَأُفٍّ وَتُفٍّ لِغِوَايَتِكَ فَبِاللهِ مِنْ أيِّ الأعْشَاشِ عُشُّكَ فَقَدْ أعْضَلَنِي عَوِيصُكَ فَقَالَ مَا أُحِبُّ أنْ أُفْصِحَ عَنِّي وَلَكِنِّي سَأُكَنِّي

أنَا أُطْرُوفَةُ الزَّمَانِ وَأُعْجُوبَةُ الأُمَمْ
وَأنَا الحُوَّلُ الذي احْتَالَ فِي العُرْبِ وَالعَجَمْ
غَيْرَ أنِّي ابْنُ حَاجَةٍ هَاضَهُ الدَّهْرُ وَاهْتَضَمْ
وَأبُو صِبْيَةٍ بَدَوْا مِثْلَ لَحْمٍ عَلَى وَضَمْ
وَأخُو العَيْلَةِ المُعِيلُ إذَا احْتَالَ لَمْ يُلَمْ

قَالَ الرَّاوِي فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ أنَّهُ أبُو زَيْدٍ ذُو الرَّيْبِ وَالعَيْبِ وَمُسَوِّدُ وَجْهِ الشَّيْبِ وَسَاءَنِي عِظَمُ تَمَرُّدِهِ وَقُبْحُ تَوَرُّدِهِ فَقُلْتُ لَهُ بِلِسَانِ الأنَفَةِ وَإدْلَالِ المَعْرِفَةِ ألَمْ يَأْنِ لَكَ يَا شَيْخَنَا أنْ تُقْلِعَ عَنْ هَذَا الخَنَا فَمَجْمَجَ وَنَحْنَحَ وَفَكَّرَ ثُمَّ قَالَ أنَّهَا لَيْلَةُ مِرَاحٍ لَا تَلَاحٍ وَنُهْزَةُ شُرْبٍ رَاحٍ لَا كِفَاحٍ فَتَنَدَّ عَمَّا بَدَا إلَى أنْ نَلْتَقِي غَدًا فَفَارَقْتُهُ فَرَقًا مِنْ عَرْبَدَ

لا تعلقا بعذره وبتّ ليلتي لابسا حداد الندم على نقلي خطى القدم
الى امه الكبر لا الكرم وعاهدت الله سبحانه الا احضر حانة خمّار
ولو اعطيت ملك بغداد ولا اشاهد معصرة الشراب ولو رُدّ علي عصر
الشباب ثم انا رحّلنا العيس وقت التغليس وخلّفنا ابن الشيخين
ابي زيد والابليس

بلغ قراءة

المقامة الثالثة عشرة

روى الحرث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة من
الشعراء لا يعلق لهم مبارٍ بغبارٍ ولا يجري معهم ممارٍ في مضمار
فافضنا في حديث يفضح الازهار الى ان نصّفنا النهار فلما غاض درّ
الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد
وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية انحف من المغازل
واضعف من الجوازل فما كذبت اذ راتنا ان عرتنا حتى اذا
ما حضرتنا قالت حيّا الله المعارف وان لم يكنّ معارف
اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل اني من سروات القبايل
وسريات العقايل لم يزل اهلي وبعلي يحلّون الصدر ويسيرون
القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما اردى الدهر
الاعضاد وفجع بالجوارح وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر
وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد
الزند ووهنت اليمين وبان المرافق ولم تبق لنا ثنية ولا

ناب

نابٌ فمذ اغبرَّ العيشُ الأخضرُ وازورَّ المحبوبُ الأصفرُ
اسودَّ يومي الأبيضُ وابيضَّ فودي الأسودُ حتى رثى لي العدوُّ
الأزرقُ فحبّذا الموتُ الأحمرُ وتِلْوي من ترونَ عينُه
فرارُه وترجمانُه اصفرارُه قصوى بغيةِ احدهم بُردة
وقصارى مُنيته بُردة ولقد آليتُ ألّا أبذلَ الحُرَّ إلّا
للحُرِّ ولو أنّي متُّ من الضرِّ وقد ناجتني القرونةُ بأن تُوجدَ عندكم
المعونةُ وآذنتني فراسةُ الحوباءِ بأنّكم ينابيعُ الحباءِ فنضّرَ الله
امرأً أبرَّ قسمي وصدّقَ توسّمي ونظرَ إليَّ بعينٍ يقذيها الجمودُ
ويُقذّيها الجودُ قال فهِمنا لبراعةِ عبارتها ومُلَحِ استعارتها
وقلنا لها قد فتنَ كلامُكِ فكيفَ إلحامُكِ فقالت أُفجّرُ
الصخرَ ولا فخرَ فقلنا إن جعلتِنا من رواتكِ لم نبخلْ بمواساتكِ
فقالت لأُرينّكم أوّلاً شعاري ثمّ لأروينّكم أشعاري فأبرزت
رُدْنَ درعٍ دريسٍ وبرزت برزةَ عجوزٍ دردبيسٍ وأنشأت تقول
أشكو إلى الله اشتكاءَ المريضْ رَيبَ الزمانِ المتعدّي البغيضْ
يا قومُ إنّي من أناسٍ غنوا دهراً وجفنُ الدهرِ عنهم غضيضْ
فخارُهم ليس له دافعٌ وصيتُهم بين الورى مستفيضْ
كانوا إذا ما نُجعةٌ أعوزتْ في السنةِ الشهباءِ روضاً أريضْ
تُشبُّ للسارينَ نيرانُهم ويُطعمونَ الضيفَ لحماً غريضْ
ما باتَ جارٌ لهمُ ساغباً ولا لروعٍ قالَ حالَ الجريضْ

فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم اخلها تغيض
واودعت منهم بطون الثرى اسد التحامي واساة المريض
فمحملي بعد المطا بالمطا وموطني بعد اليفاع الحضيض
وافرخي ما تأتلي تشتكي بؤسا له في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه من دنس الذم نقي رحيض
يطفي بسجل نار الجوع عنا ولو بمذقه من جازر او مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبتذل لي صفحة ولا تصديت لنظم القريض
قال الراوي فوالله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب
واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح
وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها
نثرا واولاها كل منا برا تولت تتلوها الاصاغر
وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها
الى سبرها لتبلوا مواقع برها فكلفت لهم باستنباط

السر

السر المرموز ونهضت أقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة
بالانام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وأملست من الصبية
الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فاماطت الجلباب
ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدي
من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رايت محيا ابي زيد قد
سفر فهممت بان أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى اليه واندفع
فاستلقى استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين وطفق ينشد

يا ليت شعري أدهري أحاط علماً بقدري
وهل درى كنه غوري في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف عليهم وبنكر
أصطاد قوماً بوعظ وآخرين بشعر
وأستفز بخل عقلاً وعقلاً بخمر
وتارة أنا صخر وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري

قال الحرث بن همام فلما ظهرت على جلية امره وبديعة امره

امره

وما زخرف في شعره من عذره علمنا أن شيطانه المريد لا
يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثبت إلى أصحابي عياني
وأنبأتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا
على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة

حكى الحرث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام
فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث
صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت
للضرورة بما ينفي حر الظهيرة فبينما أنا تحت أطراف مع رفقة ظراف
وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء إذ
هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم
الشيخ تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب
فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه
وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال أما
أنا فعاف وطالب إسعاف وسر ضري غير خاف والنظر
إلى شفيع كاف وأما الانسياب الذي علق به الارتياب
فما هو بعجاب إذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى
إلينا وبم استدل علينا فقال إن للكرم نشرا تنم نفحاته
وترشد إلى روضه فوحاته فاستدللت بأرج عرفكم

على

على تبلج عذركم وبشرني تضوع رند كرم حسن المنقلب من عندكم
فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنكفل باعانته فقال ان لي مآربا
ولفتاي مطلبا فقلنا كلا الأمرين مستقضى وكلاكما سوف
يرضى ولا الكبر الأكبر فقال أجل ومن دحا السبع الغبر
ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال وأنشد

إني امرؤ أبدع بي بعد الوجى والنصب
وشفني شاسعة بقفرة عنها خببي
وما معي خردلة مطبوعة من ذهب
يحيلني منشده وحيرتي تلعب بي
إن ارتحلت راجلا خفت دواعي العطب
وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صعد وعبرتي في صبب
وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب
وجاركم في حرم ووفركم في حرب
ما لاذ مرتاع بكم فخاف نأب النوب
ولا استدر آمل حباكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي واحتسبوا منقلبي

فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي اسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي ومنسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة في ان داء ادبي
فليت اني لم اكن ارضعت ثدي الادب
فقد دهاني شومه وعقني فيه ابي

فقلت له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعظم آفتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فما مأربة ولدك فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك لافض فوك فنهض نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشا يقول

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواء وجردقا وعصيده
فان علا فرقاق به توارى الشهيده
او لم يكن ذا ولا ذا فشبعه من ثريده

ه مسامع

فإن تعذّر نطرًا فنجوه ونهبده

وأحضروا ما تسنّى ولو نشطًا من قديده

وزجّوه فنفسي لما يروج مريده

والزاد لا بدّ منه لشقّة لي بعيده

وأنتم خير رهطٍ يُدعون عند الشديده

أيديكم كلّ يومٍ لها أيادٍ جديده

وراحكم واصلات شمل الصلات المفيده

وبغيتي في مطاوي ما تن ولون زهيده

وفيّ أجرٌ وعقبى تنفيس كربي حميده

والي نتائج فكرٍ بفصحى كل قصيده

للرحلة

قال الحرث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الأسد أرحلنا الوالد وزوّدنا الولد فقابلا الصنع بشكرٍ نشرا أزدينه وأدّيا به دينه ولما عزما على الانطلاق وعقدا للرحلة حبك النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أو بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل أجلّ معروفكم وجلّى فقلت له فدنا كما دنّاك وأفدنا فقد أفدناك أفدناك ابن الدبيرة فقد ملأنا فيك الحبرة فتنفس تنفّس

من ادّكار أوطانه وأنشد والنشيج يلعثم لسانه

سروج داري ولكن كيف السبيل إليها
وقد أناخ الأعادي بها وأخنوا عليها
فوالتي سرت أبغي حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره
أن يستوكفهما ولم يملك أن يكفكفهما فقطع إنشاده المستحلى
وأوجز في الوداع وولّى

المقامة الخامسة عشرة

أخبر الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب
هامية الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب ومني بصد
الأحباب فلم تزل الأفكار يهجن همي ويجلن في الوساوس
وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من
الفضلاء ليقصر طول ليلتي الليلاء فما انقضت منيتي ولا
اغتمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع
فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل الحظ
قد أقمر فنهضت إليه عجلان وقلت من الطارق الآن
فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغي

الإيواء لا غير وإذا اسحر قدم السفر فلما دل شعاعه على
شمسه ونم عنوانه بسر طرسه علمت أن مساءه غنم
ومساءته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها
بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلل القطر بردته
فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته
واعتذر من الطروق في غير وقته فدانيته بالمصباح المتقد
وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم
غيب فأحللته محل من أظفرني بقصوى الطلب ونقلني من
وفد الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ يشكو الأين
وأخذت في كيف وأين فقال أبلعني ريقي فقد أتعبني طريقي
فظننته مستبطئا الشبع متلكئا لهذا السبب فأحضرته
ما يحضر للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم
وأعرض إعراض المتهم فتشوفت طبا بامتناعه وأحفظني حرون
طباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام والشقة تجمع الملام
فتبين من لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة
بأهل المقة عد عما أخطرته ببالك واستمع أني لا أبا لك
فقلت هات يا أخا الترهات فقال اعلم أني بت البارحة حليف
إفلاس ونجي وسواس فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح
شهبه غدوت وقت الإشراق إلى بعض الأسواق

منتصبا للصيد بشبح او حجر يستميح فلحظت بها تمرا قد جنس
تصفيفه واحسن اليه مصففه يحتوي على النخيف وصفاء
الرحيق وقنو العقيق وقبالته لبأ قد برز كالابريز
الاصفر وانجلى في اللون المزعفر فهو يثني على طاهيه بلسان
ناهيه ويشوق مشتريه ولو نقد حبة القلب فيه
فاسرتني الشهوة باشطانها واسلمتني النهمة الى سلطانها
فبقيت احير من ضب واذهل من صب لا وجد ما يوصلني
الى نيل المراد ولذة الازدراد ولا قدم ينطاع على الذهاب
مع حرقة الالتهاب لارجراني الفرم وشورته والسغب
وفورته على ان انتجع كل ارض واقنع من الورد ببرض ملم
ان سجا به ذلك النهار ادلي دلوي الى الانهار وهي لا ترجع
ببله ولا تجلب نقع غلة الى ان صغت الشمس للغروب وضعفت
النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانا اقدم رجلا
واوخر اخرى فبينما انا اسعى واقعد واهبط واركد اذ
قابلني شيخ بأواهة الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني
ما انا فيه من داء الريب ولخوى المذيب عن تعاطي مداخلته
والطمع في مخاتلته فقلت له يا هذا ان لبكائك سرا او وزرا
يحرقك لنشره فاطلعني على بثك واتخذني من نصحائك
فانك ستجد مني طبا آسيا او عونا مواسيا فقال والله

تراي

مَا أنَا وهي لعيشٍ فاتَ ولا من دَهرٍ فاتَ بل لانقراضِ العلمِ ودُرُوسِهِ
وأُفُولِ أقمارِهِ وشُمُوسِهِ فقلتُ وأيُّ حادثةٍ نجمتْ وقضيةٍ استعجمتْ
حتى هاجتْ لكَ الأسفَ على فقدِ من سَلَفَ فأبرزَ رُقعةً من كُمِّهِ
وأقسمَ بأبيهِ وأمِّهِ لقد أنزلها بأعلامِ المدارسِ فما أمازُوا عن
الأعلامِ الدوارسِ واستنطقَ لها أحبارَ المحابرِ فخرسوا خرسَ سكانِ
المقابرِ فقلتُ أرنيها فلعلّي أُغني فيها فقالَ ما أبعدتَ في
المرامِ فرُبَّ رميةٍ من غيرِ رامٍ ثم ناولنيها فإذا المكتوبُ فيها

أيُّها العالمُ الفقيهُ الذي فا ... قَ ذكاءً فما لهُ من شبيهِ
أفتنا في قضيةٍ حارَ عنها ... كلُّ قاضٍ وحارَ كلُّ فقيهِ
رجلٌ ماتَ عن أخٍ مسلمٍ حُرٍّ ... تقيٍّ من أمِّهِ وأبيهِ
ولهُ زوجةٌ لها أيُّها الحبرُ ... أخٌ خالصٌ بلا تمويهِ
فحوتْ فرضَها وحازَ أخوها ... ما تبقّى بالإرثِ دونَ أخيهِ
فاشفنا بالجوابِ عمّا سألنا ... فهوَ نصٌّ لا خُلفَ يُوجدُ فيهِ

فلما قرأتُ شعرَها ولمحتُ سرَّها قلتُ لهُ على الخبيرِ بها سقطتَ وعندَ
ابنِ بجدتِها حططتَ إلا أنّي مُضطرمُ الأحشاءِ مُضطرٌّ إلى
العَشاءِ فأكرمْ مثوايَ ثم استمعْ فتوايَ فقالَ لقد أنصفتَ
في الاشتراطِ وتجافيتَ عن الاشتطاطِ فقمْ معي إلى منزلي
لنظفرَ بما ينبغي ونَنقلبَ كما نبتغي قالَ فصاحبتُهُ إلى دارِهِ
كما حكمَ اللهُ فأدخلني بيتاً أخرجَ من التابوتِ وأوهنَ من

بيت العنكبوت الا انه مع ضيق ربعه نبو سعة ذرعه
يحكمني في القرى ومطايب ما يشترى فقلت اريد ان هي
آدب على اشهى مركوب وانفع صاحب مع اضر مصحوب
فافكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخيلة مع لبا
سخيلة فقلت اياهما عنيت ولاجلهما تعنيت فنهض نشيطا
ثم نهض مستنشطا وقال اعلم اصلحك الله ان الصدق نباهة
والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الانبياء
وحلية الاولياء على ان تلحق بمن مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب
الايمان فقد تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها وتابى الدنية ولو
اضطرت اليها ثم اني لست لك بزبون ولا اغضي على غبن
مغبون وها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر وينعقد بيننا
الوتر فلا تبلغ تدبر الانذار وحذار من المكاذبة
حذار فقلت له والذي حرم اكل الربا واحل اكل اللبا
ما فيهن برود ولا دليك بغرور وستحمد حقيقة الامر
وتحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق
مغتديا الى السوق فما كان باسرع من ان اقبل بهما يزلج ووجهه
يتلج فوضعهما لدي ووضع المكس علي وقال اضرب الخبز
بالخبيص تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت
حملة الفيل المنهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويود

من الغيظ لو اختنق حتى إذا أغلقت النوبتين وغادرتهما أثراً بعد عين
أفردت جبرة في إطلال البيان وفكرة في جواب الأبيات فما
لبث أن قام وأحضر الدواة والأقلام وقال قد ملأت الجراب
فأمل الجواب وإلا فتهيأ أن تكلت لاغترام ما أكلت فقلت له
ما عندي إلا التحقيق فاكتب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرها الذي تخفيه
إن ذاك الميت الذي قدم الشرع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها لأمها باقيه
وتخلى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه

فلما أثبت منه الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك
والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت إني بدار غربة
وفي إيوائي أفضل قربة لا سيما وقد أغدف جنح الظلام

وسبح الرعد في الغمام فقال اعزب عا قال الله الى حيث شئت
ولا تطمع في ان تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذرعك فقال لاني
انعمت النظر في التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرايتك
لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن امعن فيما امعنت
وبطن ما بطنت لم تخلص من كظة مدنفه او هيضة متلفه
فدعني بالله كفافا واخرج عني مادمت معافى فوالذي يحيي ويميت
ما لك عندي مبيت فلما سمعت اليته وبلوت بليته خرجت
من بيته بالرغم وسرت ودلا الغم لجود في السماء وتخبط في
الظلماء وتنبحني الكلاب وتتقاذف بي الابواب حتى ساقني
اليك لطف القضاء فتشكرا ليد السرا فقلت له
احبب بلقائك المبتهج الى قلبي المرتاح ثم اخذ يفتن
في مجانه ويتسمط مفتحا نه متمكنا به الى ان عطس انف
الصباح وهتف داعي الفلاح فتاهب لاجابة الداعي ثم عطف
الى وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلاث فاستد
وحرج ثم ام المخرج وانشد اذ عرج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحرث بن همام فودعته بقلب ذامي القرح وودت
لو ان ليلتي بطنه الصبح

بلغ السماع على مصنفه بقراءة ابن ناصر ... السمينة تاسع ... وخمسمائة ... في التسمع
بلغ ايضا بقراءة ... على الشريف

المقامة السادسة عشرة

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صافية وهم يتعاطون كاس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد وأدب يستزاد فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون نزيلا يطلب جنى الأسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا لي الحبى وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف أو نغبة طائر خائف حتى غشينا جوال على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي الألباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس القربات تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات وإني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم لشريد محل قاصر وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عنا حميا المجاعة فقالوا له يا هذا إنك حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا فضلات العشاء فإن كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال إن أخا الشدائد ليقنع

بلفظات الموائد ونفاضات المزاود فامر كل منهم عنده ان
يبرز ما عنده فاعجبه الصنع وشكر عليه وجلس يرزف
ما نحمل اليه وثبنا نجنح الى استثارة ملح الادب وعيونه
واستنباط معينه من عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل
بالانعكاس هواك ساكت كاس فتداعينا الى ان تستنتج الافكار
ونفترع منه الابكار على ان ينظم البادي ثلاث جمانات
في عقد ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربع ذو ميمنته
في نظمه ويسبع صاحب ميسرته على رسمه قال الراوي
وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف وتالفنا الفة اصحاب
الكهف فابتدا لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال لم
اخا مل وقال من يليه كبر رجا اجر ربك وقال
الذي يليه من يرب اذا بر ينم وقال الاخر سكت كل
من نم لك تكتس وافضت النوبة الي وقد تعين نظم
السمط السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويبري
ويعبس وفي ضمن ذلك استطعم فلا اجد من يطعم الى ان
ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو حضر
السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو
انزلت هذه باياس لامسك على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها
واستغلاقها وذلك الضيف المعتري يلحظنا لحظ

المزدري ويؤلف الدرر ونحن لا ندري فلما عثر على افتضاحنا
ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم إن من العناء العظيم استيلاد
العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم
ثم أقبل علي وقال سأنوب منابك وأهب ما نابك فإن شئت
أن تنثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذم البخل وآثر العذل
لذ بكل مؤمل إذا لم وملك بذل وإن أحببت أن تنظم فقل
للذي تعظم

أسِّ أرملاً إذا عرا ... وارعَ إذا المرءُ أسا

أسند أخا نباهةٍ ... أبن إخاءً دنّسا

أسل جنابَ غاشمٍ ... مشاغبٍ إن جلسا

أسر إذا هبّ مِراً ... وارمِ به إذا رسا

أسكن تقوَّ فعسى ... يسعف وقتٌ نكسا

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا ببعد غاياته مدحناه حتى
استعفى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمّر ثيابه وازدفر
جرابه ونهض ينشد

لله درُّ عصابةٍ صدقوا المقال مقاولا ... فاقوا الأنام فضائلا مأثورةً وفواضلا

جاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا

وحللت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا

أقسمت لو كان الورى جسما لكانوا وابلا

ثم خطا قيد رمحين وعاد مستعيذا من الحين وقال يا اعز
من عدم الآل وكثر من سلب المال ان الغاسق قد وقب
ووجه المحجة قد انتقب وبيني وبين كنتي ليل دامس وطريق
طامس فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الآثار فلما جيء
بالملتمس وجلى الوجوه ضوء القبس رأيت صاحب صبرنا هو
ابو زيدنا فقلت لاصحابي هذا الذي اشرنا الى آيته اذا نطق
اصاب وان استمطر صاب فالعوا نحوه الاعناق واحدقوا
به الاحداق وسألوه ان يسامرهم ليلته على ان يجبروا
عيلته فقال حبا لما احببتم ورحبا بكم اذ رحبتم غير اني
قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي بوشك
الرجوع وان استأنوني خامرهم الطيش ولم يصف لي العيش
فدعوني لاذهب فاسد مخمصتهم واسيغ غصتهم ثم
انقلب اليكم على الاثر متأهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد
الغلمة اتبعه الى فيئته لتكون اسرع لفيئته فانطلق معه
مضطبنا جرابه ومحتجنا ابابه وابطأ ابطأ جاوز
حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا ما عندك من الحديث
عن الخبيث قال اخذ بي في طرق شعبه وسبل منشعبه
حتى افضينا الى دويرة خربه فقال ها هنا مناخي
ووكر افراخي ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه [illegible]

شعبة

عوض بها الامل [illegible]

لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وانشد

إذا ما حويت جنى نخلة ... فلا تقربنها الى قابل

وإما سقطت على بيدر ... فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن إذا ما لقطت ... فتنشب في كفة الحابل

ولا توغلن متى ما سبحت ... فان السلامة في الساحل

وخاطب بهات وجاوب بسوف ... وبع آجلا منك

ولا تكثرن على صاحب ... فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك واقتد بها في امورك وبادر الى صحبك في كلاءة ربك فاذا بلغتهم فابلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني ان السمر في الخرافات لمن اعظم الآفات ولست اتقي اجتراحي ولا اجلب الهوس الى راسي قال الراوي فلما وقفنا على فحوى شعره على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

بلغ الشرواني

المقامة السابعة عشرة
وتعرف بالقهقرية

حدث الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين فئة عليهم سيما الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في

مماراةٍ مشتدة الهبوب ومباراةٍ مشتطة الالهوب
فهز بي لقصدهم هوى المحاضرة واستجلاء جنى المناظرة فلما
الحقت برهطهم وانتظمت في سمطهم قالوا انت ممن يلي في
الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت بل انا من نظارة الحرب لا
من ابناء الطعن والضرب فاضربوا عن تحاجي وافاضوا في التحاجي
وكان في بحبوحة حلقتهم واكليل رفقتهم شيخ قد برته
الهموم ولوحته السموم حتى عاد انحل من قلم وامحل من حلم
الاداتة كان يسبي العجاب اذا اجاب وينسي سحبان كلما
ابان فاعجبنا ما اوتي من الاصابة والتبريز على تلك العصابة
وما زال يفصح كل معمى ويصمي في كل مرمى الى ان خلت الجعاب
ونفد السؤال والجواب فلما راى انفضاض القوم واضطرارهم
الى الصوم عرض بالمطارحة واستاذن في المفاتحة فقالوا
له حبذا ومن لنا بذا فقال اتعرفون رسالة ارضها سماؤها
وصبحها مساؤها نسجت على منوالين وتجلت في لونين وصلت
الى جهتين وبدت ذات وجهين ان بزغت من مشرقها
فناهيك برونقها وان طلعت من مغربها فيا لعجبها قال
فكان القوم رموا بالصمات وحقت عليهم كلمة الانصات
فما نبس منهم انسان ولا فاه لهم لسان فحين راهم بكما
كالانعام وصموتا كالاصنام قال لهم قد اجلتكم

اجل العدة وارخيت لكم طول المدة ثم ها هنا مجمع الشمل
وموقف الفصل وان سمحت خواطركم مدحنا وان ضلدت زنادكم
قدحنا فقالوا له والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في
ساحله مسرح فارح افكارنا من الكد وهنئ العطية بالنقد
واخرنا اخوانا يبنون لذا وبنت ويبيتون متى استنبت
فاطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني
وانقلوا عني الانسان صنيعة الاحسان ورب
الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر
استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال
المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق
الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الالباب وشرك
الهوى افة النفوس وملك الخلايق شين الخلايق وسوء الطمع
شين الورع والتزام الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب
شر المعايب ونفح الغرات يدحض المودات وخلوص النية
خلاصة العطية وبهنية النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف
يبسط الخلف وبغض المعونة يشين المروة وفضل الصدر
سعة الصدر ونية الرعاة منبت السعاة وحرا المدايح
بث المنايح ومهر الوسايل تشفيع المسايل ومثابة الغوابة
استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الجد وتعدي

الادب بحسط القرب وتناسي الحقوق ينشي العقوق وتحاشي
الريب برفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار وتنوه
الاقدار بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال في تقصير الامال
واطاله الفكره تنقح الحكمه ودراسه الرياسه تهذب السياسه
ومع اللجاجه تلغى الحاجه وعند الاوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل
الهمم تتفاوت القيم وبتزييد السفير يهون التدبير وتخلل
الاحوال تبين الاهوال وموجب الصبر ثمره النجح واستحقاق
الاجتهاد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظه كفاء
المحافظه وصفاء الموالي بتعهد الموالي وتجلي المروات
بحفظ الامانات واختبار الاخوان بتخفيف الاحزان ودفع
الاعداء بكف الادواء وامتحان العقلاء بمقارنه
الجهلاء وتبصر العواقب يومن المعاطب واتقاء الشنعه
وقبح الجفاء بنافي الوفا وجوهر الاحرار عند الاسرار هم
ثم قال هذه ماية لفظه تحتوي على ادب ووعظ
فمن شانها هذا المساق فلا مراء ولا نفاق ومن رام
عكس قالبها وان يردها على عقبها فليقل الاسرار
عند الاحرار وجوهر الوفاء بنافي الجفا وقبح الشنعه بستر
الشنعه ثم على هذا المشي فلينحها ولا يرهبها حتى
تكون خاتمته فقرها واخرة دررها وربك الاحسان
صنيعه الانسان قال الراوي فلما صدع برسالته القريبه

وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الإنشاء وأن الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء ثم أعلنّا كلٌّ منا بذبله وفلذه له بفلذة
من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له
كنّ أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا
هو على نحولي ونحولي وتشفّ محولي فأخذت في تثريبه على
تشريفه وتغريبه فحوقل واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

شلّ الزمان على عضبه ليروعني وأحدّ غربه
وأسلّ من جفني كراه مراغماً وأسال غربه
وأجالني في الآفاق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكل جوّ طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرّب شخصه متغرّب ونواه غربه

ثم ولّى يجرّ عطفه ويخطر بين يديه ونحن بين ملتفت إليه
ومتلهف عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبا وتفرقنا أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة

حكى الحرث بن همام قال فصلت ذات مرة من الشام أنحو
مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير
ومير ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة
الثكلان وأحجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان في البيان

حد السيف
مجرى الدمع
بعيد

فصادف نزولنا شيحار أن أولم بها أحد التجار فدعا إلى
مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلاحين حتى شملت دعوته
إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلما أجبنا منادية
وحللنا ناديه أحضر من أطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم
وحلي بالعين ثم قدم جاما كأنما جمد من الهواء أو جمع
من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو قشر من الدرة البيضاء
وقد أودع لقايف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق إليه
شرب من تسنيم وشقر عن مرأى وسيم وأرج نسيم
فلما اصطفت لمحضره الشهوات وترمقت إلى مخبره اللهوات
وثار فلان يشن على سربه الغارات وينادي عند نهبه
باللثارات نشز أبو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب
من النون فراودناه على أن يعود وأن يكون كقدار بني ثمود فقال
والذي يبعث الأموات من الرجام لا عذت دون ترفع الجام
فلم نجد بدا من تألفه وإبرار حلفه فاستلناه والعقول
معه سائلة والدموع عليه سائلة فلما فاء إلى مجثمه وخلص
من مأثمه سألناه لم قام ولأي معنى استرفع الجام فقال
إن الزجاج نمام وإني آليت مذ أعوام ألا يضمني ونموما مقام
فقلنا وما سبب مبنيك القمري والبتك الحري فقال كان
لي جار لسانه يعرب وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع وخبئه

يشن على سربه الغارات ينادي

سيم منقع فملت لمجاورته الى محاورته واغتررت بمكاسرته
في معاشرته واستهوتني خضرة دمنته لما بادمنه واغرتني
خدعة شمته بمناسمته فمازجته وعندي انه جار مكاسر
فبان انه عقاب كاسر وآنسته على انه حب موانس فوضح
انه حباب موالس وماحنته ولا اعلم انه عند نقده ممن
يفرح بفقده وعاقرته ولما ادر انه بعد فره ممن يطرب
لمقره وكانت عندي جارية لا يوجد لها في الكمال مجارية ان سفرت
خجل النيران وصليت القلوب بالنيران وان بسمت ازرت بالجمان
وبيع المرجان بالمجان وان رنت هيجت البلابل وحققت سحر
بابل وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من
المعاقل وان قرأت شفت الموؤد واحيت الموؤد وخلتها
اوتيت من مزامير آل داود وان غنت ظل معبد لها عبدا
وقيل سحقا لاسحق وبعدا وان زمرت اضحى زنام عندها زنما
بعد ان كان لجيله زعيما وبالاطراب زعيما وان رقصت
امالت العمائم عن الرؤوس وانستك رقص الحبب في الكؤوس
وكنت ازدري معها حمر النعم واحلي بمليها جيد النعم
واحجب مرآها عن الشمس والقمر واذود ذكراها عن سمار
السمر وانا مع ذلك ابخل من ان تسري برياها ريح او يكحل بها
سطيح او يسمر عليها برق مليح وانفق لو نسل الحظ المنحوس

وَنَكَدُ الطَّالِعِ المَنْحُوسِ أَنْ أَنْطَقَنِي بِوَصْفِهَا حُبًّا المُدَامِ عِنْدَ الجَارِ
النَّمَّامِ ثُمَّ نَابَ الفَهْمُ بَعْدَ أَنْ صَرَّدَ السَّهْمَ فَأَحْسَسْتُ الخَبَالَ
وَالوَبَالَ وَضَيْعَةَ مَا أُودِعَ ذَلِكَ الغِرْبَالُ بَيْدَ أَنِّي عَاهَدْتُهُ
عَلَى عَكْمِ مَا أَفْطَنْتُهُ وَأَنْ يَحْفَظَ السِّرَّ وَلَوْ أَحْفَظْتُهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ
يَخْزُنُ الأَسْرَارَ كَمَا يَخْزُنُ اللَّئِيمُ الدِّينَارَ وَأَنَّهُ لَا يَهْتِكُ
الأَسْتَارَ وَلَوْ عُرِضَ لِأَنْ يَلِجَ النَّارَ فَمَا غَبَرَ عَلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ
إِلَّا يَوْمٌ أَوْ يَوْمَانِ حَتَّى بَدَا لِأَمِيرِ تِلْكَ المَدَرَةِ وَوَالِي البَلْدَةِ ذِي
المَقْدُرَةِ أَنْ يَقْصِدَ بَابَ قَبِيلَةِ مُحَدِّدًا عَرْضَ خَيْلِهِ وَمُسْتَمْطِرًا
عَارِضَ نَيْلِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَصْحَبَهُ تُحْفَةً تُلَائِمُ هَوَاهُ لِيُقَدِّمَهَا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ وَجَعَلَ يَبْذُلُ الجَعَائِلَ لِرُوَّادِهِ وَيُمَنِّي
الرَّغَائِبَ لِمَنْ يَظْفَرُ بِمُرَادِهِ فَأَسَفَّ ذَلِكَ الجَارُ لِخَتَارٍ إِلَى
بَذْلِهِ وَعَصَى فِي إِدْرَاعِ العَارِ عَذْلَ عَاذِلِهِ فَأَتَى الوَالِيَ نَاشِرًا
أُذُنَيْهِ وَأَبَثَّهُ مَا كُنْتُ أَسْرَرْتُهُ إِلَيْهِ فَمَا أَنْ أَعْيَى الأَسْبَابُ
صَاغِيَةٌ إِلَيَّ وَأَنْثَالَ حِقْدُهُ عَلَيَّ يَسُومُنِي إِبْتَاءَهُ بِاللَّهِ
البَنِيَّةِ عَلَى أَنْ أَحْكُمَ عَلَيْهِ فِي القِيمَةِ فَغَشِيَنِي مِنَ الهَمِّ مَا غَشِيَ
فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ اليَمِّ وَلَمْ أَزَلْ أُدَافِعُ عَنْهَا وَلَا يُغْنِي الدِّفَاعُ
وَأَسْتَشْفِعُ إِلَيْهِ وَلَا يُجْدِي الاسْتِشْفَاعُ وَكُلَّمَا زَادَ لِي مَنْيٌ ازْدَادَ
الإِعْتِيَاصُ وَازْدَادَ المَنَاصُ يَحْرِقُ وَيَتَضَرَّمُ وَحَرُقَ عَلَى الأَدَمِ
وَنَفْسِي مَعَ ذَلِكَ لَا تَسْمَحُ بِمُفَارَقَةِ يَدَيَّ وَبِأَنْ أَنْزِعَ قَلْبِي مِنْ
صَيْدَنَاي حَتَّى أَلَّ الوَعِيدُ إِيقَاعًا وَالتَّقْرِيعُ قِرَاعًا

فقادني الاشفاق من الحين الى ان فضته سواد العين بصفره العين وكم تخط الواشي بغبرالاثر والشين فعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد الا احاضر بماما من بعد والرجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمه وبه يضرب المثل في النميمه فقد جرى عليه سبيل مبني ولذا قد السبب لم يمتدا ليم بمشيه

فلا تعذلوني بعدما قد شرحته على ان جرمي بي اقطاف القطاف
فقد بان عذري في صنيعي وانني سارتق فتقي من تليدي وطارفي
على ان ما تودنكم من فكاهة الذمن الحلو لدي كل عارف

قال الحرث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قد سا وقرن النميمه خبرا لسر حتى اتسترعن جماله الحطب ما استتر ثم سالناه عما احدث جانه الفتات وتخلله المقتات بعد ان ذاق له سبل السعايه وجدم حبل الرعايه فقال اخذ في الاستهذاء والاستطرابه والاستشفاع الى بذوي المكانه وكنت حرجت على نفسي ان يسترجعه انسي او يرجع الى امسي فلم يكن له مني سوى الرد والاصرار على الصد فهو لا يكتب من الخيبة ولا ييئس من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح في المسائل فما انقذني من ابرامه ولا ابعد عليه نيل مرامه الا ابيات نفثت بها الصدر الموتور والخاطر المبتور وانها كانت ماحرة لشيطانه ومقصية له في اوطانه وعند انتشارها بت

طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور وايس من نشر وصلي المقبور
كما يئس الكفار من اصحاب القبور فناشدناه ان ينشدنا اباها
ويشفنا اتياها فقال اجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لا
يزويه خجل ولا يثنيه وجل

وندبت محضته صدقي وودي اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال حين القيته صديدا حميما
خلته قبل ان تجربت الفا ذا ذمام فبان خلفا ذميما
وتخيرته كليما فامسى منه قلبي بما جناه كليما
وظننته معينا رحيما فتبينته لعينا رجيما
ورايته مريدا الخلي عنه سبحان الله مريدا لئيما
وتوسمت ان يهب نسيما فابى ان يهب الا سموما
بت من لسعه الذي اعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رابعا خضيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عقيما ام لم يكن لي نديما
بغض الصبح حين تم الي قلبي لان الصباح يلقي نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من بقي ولو فاه بالصدق اثاما فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تقريظه

وشيعه بوآه مهاد ذكر امنه وصلته على نكر منه ثم استحضر
عشر صحاف من الغرب فيها حلوا القند والضرب وقال له لا
يستوي اصحاب النار واصحاب الجنه ولا يسع ان نجعل البرني كذي
الظنه وهذه الآنيه تنزل منزلة الابرار في صون الاسرار
فلا تولها الابعاد ولا تلحق هوذ الابعاد ثم امر خادمه بنقلها
الى مثواه ليحكم فيها بهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرأوا
سورة الفتح واستبشروا بايدي مال الفرج فقد جبر الله ثكلكم
وشتى اكلكم وجمع في ظل الحلو اشملكم وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم ولما هم بالانصراف مال الى استهداء
الصحاف فقال للآدب ان من دلايل الظرف سماحة المهدي
بالظرف فقال دلهما والعلاقة فاحذف للعلق وانهض بسلام
فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم افادنا
ابو زيد الى جوابه وحكمنا في حلوايه وجعل يقلب الاواني
بيده وينفض عددها على عدده ثم قال لست ادري اشكوا
ذلك التمام ام اشكر وانا ناسي فعلته ام اذكر فائته وان
كان اسلف الجريمه وكتم النعمه ممن عمته انملت هذه الديمه واسنيه
انجاز لي هذه الغنيمه ومن خطر بالي ان ارجع الى اشبالي واقنع
نسني لي والا اتعب نفسي ولا اجمالي وانا اودع علم وداع محافظ
واستودع عكم خبر حافظ ثم استوى على راحلته راجعا في حافرته

حوانجه
كليهما

بلغ

ولاويا الى زافرته فغادرنا بعد ان وجدت عنسه وزايلنا انسه
كدست غاب صدره او لبد افل بدره

المقامة التاسعة عشرة

روى الحرث بن همام قال امحل العراق ذات العويم لاختلاف
انواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين ولهنيه اهلها المخصبين
فاقتعدت مهريا واعتقلت سمهريا وسرت تلفظني ارض
الى ارض وتجذبني ذرع من خفض حتى بلغتها نقضا على نقض فلما
اخترت مغناها الخصيب وضربت في مرعاها بنصيب نويت ان
القي بها جراني واتخذ اهلها جيراني الى ان تحيى السنة الجماد ويعمر
ارض قومي العهاد فوالله ما مضمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي
عن يومها او الفيت ابا زيد السروجي يجول في ارجاء نصيبين
ويخبط بها خبط المصابين المصيبين وهو ينثر من فيه الدرر
ويحلب بكفيه الدرر فوجدت جهادي فد جان مغنما وملقى
الحد قد صادف توأما ولم ازل اتبع ظله ايما انبعث والتقط
لفظه كلما نفث الى ان عراه مرض امتد مداه وعرفته
مداه حتى كاد يسلبه ثوب الحيا ويسلمه الى ابي يحيى فوجدت
لفوت ملقاه وانقطاع سقياه ما يجده المبعد عن مرامه
والمرضع عند فطامه ثم ارجف بان رهنه قد غلق
ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين

وانّا لوا الى عقوته موجفين

جبابرٌ يبدي بهم شجوهم ذا تهمّ ان تضعوا الخنس بسا
أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكّوا الخدود وشجّوا
يودّون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت في من التف بأصحابه واغتدى الى بابه فلما استبنا الى فنائه
ونصدّينا للاستئذان أنبأنه برز الينا فتاه مفترّة شفتاه
فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال
قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة الى ان شفّه الدنف
واستشفه التلف ثم من الله تعالى بتثويب ذمائه فأفاق من اغمائه
فارجعوا ادراجكم وانضوا ازعاجكم فكأن قد غدا وراح
وشافهكم والرواح فأعظمنا بشراه وافترحنا ان نراه فدخل
مؤذنا بنا ثم خرج اذنا لنا فلقينا منه لقيّ ولسانا طلقا وجلسنا
محدقين بسريره محدّقين الى اساريره فقلّب طرفه في الجماعة ثم
قال احتلوها بنت الساعة وانشد

عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفّيني
ومنّ بالبرء على انه لابد من حتف سيبريني
ما بنا شاني ولكنه الى تقضّي الاكل تشنيني
ان حُمّ لم تغن حميتي ولا حمى كلب منه تحميني

وما أبالي إذا يومه أم أخر الحين إلى حين

فأي خير في حيوة أرى فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم تداعينا إلى القيام
لاتقاء الإبرام فقال كلا بل ابتنوا بياض يومكم عندي لتشفوا
بالمفاكهه وجدي فإن مناجاتكم قوت نفسي ومعاطبتكم
أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمحض
زبده ونلغي زبده إلى أن حان وقت المقيل وكلت الألسن من القال
والقيل وكان يوما حامي الوديقه يانع الحديقه فقال إن النعاس
قد أمال الأعناق وراود الأماق وهو خصم ألد وخطب لا
يرد فصلوا حبله بالقيلوله واقتدوا فيه بالآثار المنقوله قال الراوي
فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وأفرغ السنه
في الأجفان حتى خرجنا بحكم الوجود وصرفنا بالهجود عن
السجود فما استيقظنا إلا والحر قد باخ والظهر قد شاخ فكرعنا
لصلوة العجماوين وأدينا ما حل من الدين ثم تحفشنا للارتحال إلى
ملقى الرحال فالتفت أبو زيد إلى شبله وكان على شاكلته وشكله
وقال إني لأخال أبا عمرة قد أضرم في أحشائنا الجمرة فاستدع
أبا جامع فإنه بشرى كل جائع وأردفه بأبي نعيم الصابر على
كل ضيم ثم عززه بأبي حبيب المحبب إلى كل لبيب المتقلب بين
إحراق وتعذيب وأهون بأبي ثقيف [illegible] ومن البقل [illegible]

استحضر فتًى أبا جميل الجمال أي تجمّل وحيّ هل بأمّ القرى المذكّرة بالبشرى ولا تناس أمّ جابر فلم لها من ذاكر وناد أمّ الفرج ثم أمسك بها ولا حرج واختم بأبي زيدٍ فهو مسلاة كلّ حزين وإن تقرن به أبا العلاء تمحُ اسمك من البخلاء وإياك وأسند إباء المكرّ جفين قبل استقلال حمول البين وإذا نزع القوم عن المراس وصالحوا أبا إياس فاطف عليهم أبا السرو فإنه عنوان السرور قال فقفّه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه وطاف علينا بالطيبات والطيب إلى أن دنت الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على التوديع قلنا له ألم تر إلى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه مقطرًّا ومسيّه مستنيرًا فاستجد حتى طال تفكّره ثم رفع رأسه وقال

لا تيأسنّ عند النُوَب من فرجةٍ تجلو الكُرَب

فلكم سمومٍ هبّ ثم جرى نسيمًا وانقلب

وسحاب مكروهٍ تنشّأ فاضمحلّ وما سكب

ودخان خطبٍ خيف منه فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى وعلى تقيّته غرب

فاصبر إذا ما ناب روعٌ فالزمان أبو العجب

وترجَّ من روح الإله لطائفًا لا تحتسب

قال فاستملينا أبياته الغُرّ وأولينا لله تعالى الشكر ووَدّعناه

مسرورين ببشره محمودين بسرّه

تفسير ما تضمن هذه المقامة من ألفاظ
لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والسمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله ضرب الله على الاذان اي انامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على اذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله تكرعنا لصلوة العجماوين اي غسلنا اكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء وقوله هلم اي قال هلم وهي بمعنى هات واقبل والافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجميع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمي وللاثنين هلما وللجميع هلممن وقوله حي هل اي عجل يقال حي هل بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود رحمه الله في عمر رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وفي حي هل لغات اخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيعابها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية

وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية فأبو يحيى كنية الموت
وأبو عمرة كنية الجوع ويكنى أيضا أبا مالك وأبو جامع الخوان وأبو نعيم
الخبز الحواري وأبو حبيب الجدي وأبو ثقيف الخل وأبو عون الملح
وأبو جميل البقل وأم القرى السكباج وأم جابر الهريسة وأم الفرج
الجوذابة وأبو زرين الخبيص وأبو العلاء الفالوذ وأبو إياس الغسول
والمنو جفان الطشت والابريق وأبو النشر والبخور

بلغ قراءة

المقامة العشرون

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين
بما رزوا في المناجاة ولا بد دون ما طعم المداجاة فكنت
بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن ألفه وجاره فلما أنخنا بها
مطايا التسيار واستغنينا عن الأكوار إلى الأوكار كانت نواصينا
بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا
ناديا نغشاه طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الأخبار فبينا
نحن به في بعض الأيام وقد انتظمنا في سلك الالتئام وقف علينا
ذو مقول جري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد
قناص للأسد والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الأريب
رأيت في ريعان عمري أخا بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب

فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا مستغلق الباب منيعا رحيب
الا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة بتها بمنتش في برد الشباب القشيب
يرشف العبد وريشفنه وهو لديها لحل المفدي الحبيب
فلم يزل يبتزه دهره ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالي لقى يعافه من كان منه قريب
فاعجز الراقي تحليل ما به من الداء واعيا الطبيب
وصار من البغض وصار منه من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسيحي لمن يرغب في نقش منه غريب

ثم انه اعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما ذرفت دمعته وانفثات لوعته قال يا جمعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا اخبرتكم الا عن عيان ولو لا زمي عصاي سبر ولغبي مطير لانشاتا ترت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون وينهون ما يأتون فتوهم انهم على شفا جرف من حرمان ومطالبته ببرهان

ففرط منه ان قال يا بلاغم القاع وبراعم البقاع ما هذا الالتياث
الذى يأباه الحياء حتى كأنكم كلفتم مشقة لا شقة او استوهبتم
بدرة لا بردة او هززتم لكسوة البيت لا لتكفين ميت افلمن لا
تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت الجماعة بدلالته
ومرارة مذاقه رضخ له كل منهم بنيله واحتمل طله خوف
سيله قال الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا
بظهري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق علي التأسي بهم
خلعت خاتمي من خنصري ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي
بلا فرية ولا مرية فايقنت انها اكذوبة تكذبها واحبولة
نصبها الا اني طويته على غرة وصنت شعاه عن قرة فحبست
بالخاتم وقلت ارصده لنفقة المأتم فقال واها لك فما اضرم شعلتك
واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول له ولته قدما فتبعته
الى عرفان مبيته وامتحان دعوى ميتته فقرعت ظنبوبي والهبت
الهوبي حتى ادركته على غلوة واجلسته في خلوة واخذت بجمع
اردانه وعقفته عن سنن ميدانه وقلت والله مالك مني ملجا ولا منجى
او تريني ميتك المسجى فكشف عن سراويله واشار الى غرموله
فقلت له قاتلك الله فما اعبثك بالنهى واحيلك على اللهى ثم سعدت
الى اصيحابي عود الرائد الذي لا يكذب اهله ولا يبرقش قوله فاخبرتهم
بالذي رابت وما دب ولا دأب فقهقهوا من كيد وجن ولعنوا

المقامة الحادية والعشرون

حدث الحرث بن همام قال عنيت مذ أحكمت تدبيري وعرفت قبيلي
من دبيري بأن أصغي إلى العظات وألغي الكلم المحفظات لأتحلى
بمحاسن الأخلاق وأتخلى مما يسم بالإخلاق وما زلت آخذ نفسي
بهذا الأدب وأخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا
والتكلف له هوى مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبا الغي
وعرفت الحي من اللي رأيت بها ذات بكرة زمرة إثر زمرة وهم
منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون
واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم يكادني استماع
المواعظ واختبار الواعظ أن أفاني اللاغط واحتمل الضاغط
فأصحبت أصحاب المطاوعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى
أفضينا إلى نادٍ جمع الأمير والمأمور وجند النبيه والمغمور
وفي وسط هالته ووسيط أهلته شيخ قد تقوس واقعنسس
وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور
فسمعته يقول وقد افتتن به الجمهور ابن آدم ما أغراك
بما يغرك وأضراك بما يضرك وألهاك بما يطغيك وأبهجك
بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع في
قوس تعديك وتتندى الحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع
ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع

عورض بالأصل

ولنادبنّ له إذا ما خدّه أضحى على ترب الهوان ممرّغا
هذا ولسوف يوقف فيه يرى ربُّ الفصاحة ألثغا
وليحشرنّ أذلّ من فقع الفلا ويحاسبنّ على النقيصة والطغا
ويؤاخذنّ بما اجتنى ومن اجتبى ويطالبنّ بما احتسى وبما ارتغى
ويناقشنّ على الدقائق مثل ما قد كان يفعل بالورى بل أبلغا
حتى يعضّ على الولاية كفّه ويودّ لو لم يبغ منها ما بغى

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الإدلال بدولتك والاغترار بصولتك فإن الدولة ريح وقلب والقدرة برق خلب وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من شقيت رعيته فلا تكن ممن يذر الآخرة ويبيعها ويحب العاجلة ويتبعها ويظلم الرعية ويؤذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل الإنسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان

قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف من الإمرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو فأشجاه ولاطف الواعظ وحباه وعزم عليه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته وبيناهي يفوز صفقته

موقفا ١

وَاعتنقته اخطو مُفَاحِصًا وأربه لمحًا باصرًا فلما استشف ما
أخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خبث دليلك من ارشد ثم
اقترب مني وانشد

أنا الذي تعرفه يا حارث   حدث ملوك فكه منافث
أطرب ما لا تطرب المثالث   طورًا اخو جد وطورًا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث   ولا انتحى عودي خطب كارث
ولا فرى نابي حد فارث   بل مخلبي بكل صيد ضابث
فكل سرح فيه ذئبي عائث   حتى كأني للانام وارث
سامهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد قمت لله
ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة اللئيم اذا لام وقال اسمع يا ابن ام

عليك بالصدق ولو أنه   أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فاغبى الورى   من اسخط المولى وارضى العبيد

ثم ودع اخدانه وانطلق يسحب اردانه فطلبناه
من بعد بالرئي واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا
من عرف قراره ولا دري اي الجراد عاره

المقامة التاسعة والعشرون

وَدَأْبُكَ أَنْ تَتَقَلَّبَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَتَخْبِطَ خَبْطَ العَشْوَاءِ وَهَمُّكَ أَنْ تَدْأَبَ فِي الاحْتِرَافِ وَتَجْمَعَ التُّرَاثَ لِلْوُرَّاثِ تُعْجِبُكَ التَّكَاثُرُ بِمَا لَدَيْكَ وَلَا تَذْكُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَتَسْعَى أَبَدًا لِغَارِبِكَ وَلَا تُبَالِي أَلِلَّهِ أَمْ عَلَيْكَ أَتَظُنُّ أَنْ سَتُتْرَكُ سُدًى وَلَا تُحَاسَبُ غَدًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ المَوْتَ يَقْبَلُ الرُّشَى أَوْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الأَسَدِ وَالرَّشَا كَلَّا وَاللهِ لَنْ يَدْفَعَ المَنُونَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ القُبُورِ سِوَى العَمَلِ المَبْرُورِ فَطُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى وَحَقَّقَ مَا ادَّعَى وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى وَعَلِمَ أَنَّ الفَائِزَ مَنِ ارْعَوَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ أَنْشَدَ إِنْشَادَ وَجِلٍ بِصَوْتٍ زَجِلٍ

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي المَغَانِي وَلَا الغِنَى إِذَا سَكَنَ المُثْرِي الثَّرَى وَثَوَى بِهِ
فَجُدْ فِي مَرَاضِي اللهِ بِالمَالِ رَاضِيًا بِمَا تَقْتَنِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ
وَبَادِرْ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ بِمِخْلَبِهِ الأَشْغَى يَغُولُ وَنَابِهِ
وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَؤُونَ وَمَكْرَهُ فَكَمْ خَامِلٍ أَخْنَى عَلَيْهِ وَنَابِهِ
وَعَاصِ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ أَخُو ضَلَّةٍ إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ
وَحَافِظْ عَلَى تَقْوَى الإِلَهِ وَخَوْفِهِ لِتَنْجُوَ مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ
وَلَا تَلْهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْكِهِ بِدَمْعٍ يُضَاهِي الوَبْلَ حَالَ مَصَابِهِ
وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمَامَ وَوَقْعَهُ وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ
وَإِنَّ قُصَارَى مَنْزِلِ الحَيِّ حُفْرَةٌ سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزَلًا عَنْ قِبَابِهِ

فواهاً لعبدٍ ساءه سوءُ فعله ‌ وأبدى التلافي قبل إغلاق بابه

قال فظلّ القوم بين عَبرةٍ يُذرونها وتوبةٍ يُظهرونها وبها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات والتأم الانصات واستكفّت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والأمير صاغٍ الى خصمه لاهٍ عن كشف ظلمه فلما أيس من نُجحه استنهض الواعظ لنُصحه فنهض نهضة المستهين وانشد معرّضاً بالأمير

عجباً لراجٍ أن ينال ولايةً ‌ حتى إذا ما نال بغيته بغى

يُسدي ويُلحم في المظالم والغاً ‌ في وزرها طوراً وطوراً

ما إن يبالي حين يتبع الهوى ‌ فيها أصلّح دينه أم أوتغا

يا ويحه لو كان يوقن أنه ‌ ما حاله الا الحؤول لما طغى

أو لو تبيّن ما ندامة من صغا ‌ سمعاً الى إفك الوشاة لما صغا

فانقد لمن أضحى الزمام بكفه ‌ وتغاضَ إن ألغى الرعاية أو لغا

وارع المرار اذا دعاك لرغبةٍ ‌ ورِدِ الأجاج إذا أجابك أَعَمَّ

واحمل أذاه ولو أمضّك مسّه ‌ واسأل غرب الدمع منك وأفرغا

فليضحكنّك الدهر منه اذا نبا ‌ عنه وشبّ لكبته نار الوغا

ولتبصرنّ به الشمات اذا بدا ‌ متخلّباً من شغله متفرّغا

حكى الحارث بن همام قال أويت في بعض الفترات الى سقي الفرات
فلقيت بها كتّابا أبرع من بني الفرات وأعذب أخلاقا من الماء
الفرات فأطفت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم وكاثرتهم لآدابهم
لا لمآدبهم فجالست منهم أضراب القعقاع بن شور ووصلت
بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم أشركوني في المربع والمرتبع
وأحلوني محل الأنملة من الإصبع واتخذوني ابن أنسهم عند الولاية
والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل فاتفق أن ندبوا في بعض
الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجواري
المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب وتنساب في الحباب كالحباب ثم دعوني
الى الموافقه واستدعوني للمرافقه فلما تورّكنا على المطيه
الدهماء وبطنّا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا
عليه سحق سربال وشتّ بال فعافت الجماعة محضره وعنّفت
من أحضره وهمّت بإبرازه من السفينه لولا ما ثاب إليها من السكينه
فلما لمح منا استثقال ظله واستنزار طلّه تعرّض للمنافثه
فصمت وجمد بعد أن عطس فما شمّت فأخذ ينظر
فيما آلت حاله اليه وينتظر نصرة المبغي عليه وكنا
نحن في شجون مرجد ومجون الى أن عرض ذكر الكتابتين

وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قايل ان كتبة الانشاء انبل الكتاب
ومال مايل الى تفضيل الحساب واشتد الحجاج واحتد اللجاج حتى اذا لم يبق
للجدال مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط واثرتم
الصواب والغلط وان جلية الحكم عندي فارتضوا بفتواي ولا تستفتوا
احدا بعدي اعلموا ان صناعة الانشا ارفع وصناعة الحساب انفع وقلم
المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب واساطير البلاغات تنسخ
لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة
الاخبار وحقيبة الاسرار ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه
لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو
البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك
النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي وصاحبه بريء من التبعات
امن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات فلما
انتهى في ~~هذا~~ الفصل الى هذا الفصل لحظ من لحاظ القوم انه ازدرع
حبا وبغضا وارضى بعضا واحفظ بعضا فعقب كلامه بان قال
الا ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء
مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين
اتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه
قياس ولا يعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ الاكياس والتلاوة
تفرغ الراس وخراج الاوارج يغني الناظر واستخراج المدارج
يعني الناظر ثم ان الحسبة حفظة الاموال حملة الاثقال

والنقلة الاثبات والسفرة الثقات واعلام الانصاف والانصاف والشهود
المقانع في الاخلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان
وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب في السلم والهرج وعليه
المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء
والمنع ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن
الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات
مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على ان
يراع الانشاء متقول ويراع الحساب متاول والمحاسب مناقش
والمنشي ابو براقش ولكليهما حمة حين يرقى الى ان يلقى ويرقى
واعنات فيما ينشا حتى يغشى ويرشى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم قال الحرث بن همام فلما امتع الاسماع بما راق وراع
استنسبناه فاستراب وابى الانتساب ولو وجد منساباً لانساب
فحصلت من نسبه على عمه حتى ادركت بعد امه فقلت والذي سخر
الفلك الدوار والفلك السيار اني لاجد ريح ابي زيد وان كنت اعهده
ذا رواء وايد فتبسم ضاحكا من قولي وقال انا هو على استحالة حالي
وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفرى فريه ولا يبارى
عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفه
ولم يرغب في التحفه وقال اما بعد ان سحقتم حقي لاخل
سحقي وسقمتم بالي لاطاف سرّ بالي فما اراكم الا بالعين السخينه
ولا لكم مني الا صحبة السفينه ثم انشد

اسمع أخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه
فهناك إن تر ما يشين فواره كرما وإن تر ما يزين فأفشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن أسماله إلا مرايا عرشه
ما إن يضر العضب كون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على ألا نحتقر شخصا لرثاثة برده وألا نزدري سيفا مخبوا في غمده

المقامة الثالثة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشيته
وخوف غشيته فأرقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت
في سيري وعورا لم تدمها الخطى ولا اهتدت اليها القطا حتى
وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسروت انجاس
الروع واستشعاره وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت
همي على لذة اجتنيها وملحة اجتليها فبرزت يوما الى الجزيرة لاروض
طرفي واجيل في طرفه طرفي فاذا فرسان متتالون ورجال
متتالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى جديد
الشباب خلق الجلباب فرهنت اثرهما النظارة حتى وافيا باب
الامارة وهناك صاحب المعونة متربعا في دسته ومروعا
بسمته فقال له الشيخ اعز الله الوالي وجعل كعبه العالي
اني كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما
مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر ولم اخله يلتوي علي
وينتحي حين يرتوي مني وينتفي فقال له الفتى علام عثرت مني حتى
تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت
حجاب سرك ولا شققت عصا امرك ولا الغيت تلاوة شكرك
فقال له الشيخ ويلك واي ريب اخزى من ريبك وهل عيب
افحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت
شعري واسترقته واسترقاق الشعر عند الشعراء افظع من سرقة

البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات
الابكار فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ ام مسخ ام نسخ فقال والذي
جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب ما احدث سوى ان بتر
شمل شرحه واغار على ثلثي سرحه فقال له انشد ابياتك برمتها
ليتضح ما اجتازه من جملتها فانشد

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا بعدا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى ونزت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو طال المدى وونت سرى الاقدار

فقال له الوالي ثم ما ذا صنع هذا قال اقدم للؤمه في الجزء على
ابياتي السداسية الاجزاء فحذف منها جزئين ونقص من اوزانها
وزنين حتى صار الوزن فيها رزين فقال بين ما اخذ ومن اين فلذ
قال ارع سمعك واخل للفهم ذرعك حتى تبين كيف

أصلت عليّ ونقدت قدر اجترامه إليّ ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى
واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي إلى الغلام وقال تبا لك من خرّيج مارق وبليد سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه والحق ومن يعزيه ويقوض مبانيه إن كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال فكأن الوالي جوّز صدق زعمه فندم على بادرة ذمه وظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميّز به الفائق من المائق فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة ولزّهما في قرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل وانصياح الحق من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة

الاجازه وتجاريا ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حي عن بينه فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد تصبينا بسبرك فمرنا بامرك فقال اني مولع من انواع البلاغه بالتجنيس واراه لها كالرئيس فانظما الان عشرة ابيات تلحمانها بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالي مع الف بديع الصفه المى الشفه مليح التثني كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد واطالة الصد واخلاف الوعد وانا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق الى ان كمل نظم الابيات واتسق وهي

واحوى حوى رقي برقة لفظه ... وغادرني الف السهاد بغدره

تصدى لقتلي بالصدود وانني ... لفي اسره مذ حاز قلبي باسره

اصدق منه الزور خوف ازوراره ... وارضى استماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلما ... اجد عذابي جد بي حب بره

تناسى ذمامي والتناسي مذمة ... واحفظ قلبي وهو حافظ سره

واعجب ما فيه التباهي بعجبه ... واكبره عن ان افوه بكبره

له مني المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طي الود من بعد نشره

ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى ... علي وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تثنيه ثنيت اعنتي ... بدارا الى من اجتلي نور بدره

واني على تصريف امري وامره ... ارى المر حلوا في انقيادي لامره

فلما انشداها الوالي مترا بين بهت لذكائهما المتعادلين وقال

أشهد بالله إنكما قرقرا سماء وكنزا بنين ووعاء وأن هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجده عمن سواه فثاب لها الشيخ عن إيهامه وثنى إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو تعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع فاعترضه الفتى وقال يا هذا إن اللجاج شؤم والخرق لؤم وتحقيق الظنة إثم وإعنات البري ظلم وهبني اقترفت جريرة أو اجترحت كبيرة أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك في إبان أنسك

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط

وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط

واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط

وأطعه إن عاصى وهن ... إن عز وادن إذا شحط

واقن الوفاء ولو أخل ... بما اشترطت وما اشترط

واعلم بأنك إن طلبت ... مهذبا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

أو ما ترى المحبوب والمكروه ... لزا في نمط

كالشوك يبدو في الغصون ... مع الجنى الملتقط

ولذاذة العمر الطويل ... يشوبها نغص الشمط

ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

فاحتفل الشيخ بخفض نضنضة الصل وتحلق حلقة البازي المطل ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب

مَا ادَّوغي عن الاصطلاح إلّا لتوقّي الافتضاح فإنّ هذا الفتى اعتاد أن أموّنه
وأراعي شؤونه وقد دان لدهرٍ يسمح فلمّا آن أشحّ فأمّا الآن فالوقت عبوس
وجيش العيش بؤس حتّى إنّ بني هذه عارة وبيني لا تطور به فارّة قال
فرقّ لمقالهما قلب الوالي وأوى لهما من غِيَر الليالي وصبا إلى اختصاصهما
بالإسعاف وأمر النظّارة بالانصراف قال الراوي وكنت مشنوفًا إلى
مرأى الشيخ لعلّي أعلم علمه إذا عاينت وسمه ولم يلز الزحام
يسفر عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلمّا تقوّضت الصفوف
وأجفل الوقوف توسّمته فإذا هو أبو زيدٍ والفتى فتاه فعرفت حينئذ
مغزاه فيما أتاه وهممت أن أنقضّ عليه لأستعرف إليه فزجرني بإيماض
طرفه واستوقفني بإيماء كفّه فلزمت موقفي وأخّرت منصرفي
فقال الوالي ما مرامك ولأيّما سببٍ مقامك فابتدره الشيخ وقال
إنّه أنيسي وصاحب ملبوسي فتسمّح عند هذا القول بتأنيسي ورخّص
في جلوسي ثمّ أفاض عليهما خلعتين وصلهما بنصابٍ من العين واستعهدهما
أن يتعاشرا بالمعروف إلى ظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه
مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لأعرف مثواهما وأتروّد من
نجواهما فلمّا اجتزنا حمى الوالي وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركنا
أحد جلاوزته مهيبًا بي إلى حوزته فقلت لأبي زيدٍ ما أظنّه
استحضرني إلّا ليستخبرني فماذا أقول وفي أيّ وادٍ أجول فقال
بيّن له غباوة قلبه وتلاعبي بلبّه ليعلم أنّ ريحه لاقت إعصارًا
وجدوله صادف تيّارًا فقلت أخاف أن يتّقد غضبه فيلحقك

لهبه او تستشري طيشه فيسري اليك بطشه قال اني ارحل الآن الى
الرها واني يلتقي سهيل والسها فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه
وانجلى تعبسه اخذ يصف ابا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال
نشدتك الله الست الذي اعاره الدست فقلت والذي احلك في هذا
الدست ما انا بصاحب ذاك الدست بل انت الذي تم عليه الدست
فازورت مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله ما اعجزني قط فضح مريب
ولا كشف معيب ولكن ما سمعت بان شيخا دلس بعد ما تطلس فبهذا
تم له ان لبس افتدري ابن سكع ذلك اللكع قلت اشفق منك لتعدي
طوره وظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرب الله له نوى ولا كلاه اين ثوى
فما زاولت اشد من نكره ولا ذقت امر من مكره ولولا حرمة ادبه
لاوغلت في طلبه الى ان يقع فاوقع به واني لاكره ان تشيع فعلته
بمدينة السلم فافتضح بين الانام وتحبط مكانتي عند الامام واصير ضحكة
للخاص والعام فعاهدني على الا تفوه بما اعتمد ما دمت حالا
بهذا البلد قال الحرث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتاول
ووفيت له كما وفى السموال

المقامة الرابعة والعشرون

اخبر الحرث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في ابان الربيع
فتية وجوههم ابلج من انواره واخلاقهم ابهج من ازهاره والفاظهم
ارق من نسيم اسحاره فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر
ويغني عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر
الاستبداد والا ينفرد احدنا بالتذاذ ولا يستاثر ولو برذاذ

فاجتمعنا في يوم سما دجنه ونما حسنه وتحكم بالاصطباح مزنه
على أن نلتهي بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر
ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني
جذيمة مودة الى حديقة اخذت زخرفها وازينت وتنوعت ازاهيرها
وتلونت ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس والشادي الذي
يطرب السامع ويلهيه ويفتري كل سمع ما يشتهيه فلما اطمأن
بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس وغل علينا ذمي عليه طمر
فتجهمناه تجهم الغيد الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب
الا انه سلم تسليم اولي الفهم وجلس يقتص لطائف النثر والنظم
ونحن نتزوى من انبساطه وننزوي لطي بساطه الى ان غنى شادينا
المغرب ومغردنا المطرب

الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي مما ألاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها انا قد عزمت على انتصاف أساقي فيه خلي ما يساقي
فإن وصلا ألذ به فوصل وإن صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العائث بالمثاني لم نصب الوصل ورفع الثاني فأقسم
بتربة أبويه لقد نطق بما اختاره سيبويه فتشعبت حينئذ
آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو
الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما إلا الانتصاب واستبهم على

محا المشيب مراحي حين خط على رأسي فأبغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان الى ملهى فسحقا له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شايب لخبا بين المصابيح من غسان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح
ثم انه انساب انسياب الأيم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه
سراج سروج وبدر الادبا الذي تجاب البروج وكان قصارانا
التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما اودع هذه المقامة من نكت العربية والاحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلا الذ به
فوصل فانه نظير قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان
شرا فشر وهذه المسالة اودعها سيبويه كتابه وجوز في اعرابها
اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان تنصب خيرا الاول وترفع
الثاني وتنصب شرا الاول وترفع الثاني ويكون تقديره ان كان عمله
خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الاول
على انه خبر كان وترفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف
وقد حذف في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط
الذي هو ان على تقديرهما وحذف ايضا المبتدا لدلالة الفاء
التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها ه

والوجه الثاني أن تنصبهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كان عمله
خيراً فهو يجزى خيراً وإن كان عمله شراً فهو يجزى شراً
فينتصب الأول على أنه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب
المفعول به والوجه الثالث أن ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام
إن كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الأول على أنه
اسم كان ويرتفع خير الثاني على ما بين في شرح الوجه الأول وقد
يجوز أن يرتفع خير الأول على أنه فاعل كان وتجعل كان المقدرة
ها هنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج إلى
خبر كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة ويكون التقدير في المسألة
إن كان خير فجزاؤه خير أي إن حدث خير فجزاؤه خير
والوجه الرابع وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدم من شرحه
في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني
ويكون التقدير إن كان في عمله خير فهو يجزى خيراً وعلى
حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه تجري
إعراب البيت الذي غني به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم
المرء مقتول بما قتل به إن سيفاً فسيف وإن خنجراً فخنجر
وأما الكلمة التي هي حرف محجوب أو اسم لما فيه حرف جوب
فهي نعم إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند
السؤال فهي حرف وإن عنيت بها الإبل فهي اسم والنعم

أي

عوض من بها الابل

اخترن الجوابُ واستعر بينهم الاصطخابُ وذلك الوغلُ يبدى ابتسامَ
ذى معرفةٍ وإن لم يفُهْ ببنت شفه حتى اذا اسكت الزماجرُ وصمت
المزجورُ والزاجرُ قال يا قومِ انا انبئكم بتاويله واميّز صحيح
القولِ من عليله انه ليجوزُ رفعُ الوصلين ونصبهما والمغايرةُ فى الاعرابِ
بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمارِ والتقدير المحذوف
فى هذا المضمار قال فرطٌ من الجماعه افرطت فى ممارأته وانخرط
الى مباراته فقال اما اذ دعوتم نزالِ وتلببتم للنضال فما كلمه هى ان
شئتم حرفٌ محبوبٌ او اسمٌ لما فيه حرفٌ حلوبٌ وايُّ اسمٍ يتردد
بين فردٍ حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ وايةُ هاءٍ اذا التحقت اماطت الثقلَ
واطلقت المعتقل واين تدخل السين فتعزل العاملَ من غير ان تجاملَ
وما منصوبٌ ابدًا على الظرفِ لا يخفضه سوى حرفٍ وايُّ مضافٍ
اخلّ من عرى الاضافه بعروه واختلف حكمه بين مساءٍ وغدوه
وما العاملُ الذى يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله
وايُّ عاملٍ نائبه ارحبُ منه وكرًا واعظم مكرًا واكثر لله تعالى
ذكرًا وفى ايّ موطن تلبس الذكرانُ براقعَ النسوان وتبرز رباتُ الحجال
بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسمٌ
لا يفهم الا باستضافه كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفى
وضعه الاول التزامٌ وفى الثانى الزامٌ وما [illegible] اذا اردف
بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون
وتعرّض للهون فهذه ثنتا عشره مسله وفق عددكم

وزنه لددتم ولو زدتم زدنا وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكايه فورد علينا من احاجيه اللاتى هالت لما انهالت ما حارت له الافكار وحالت فلما اعجزنا العوم فى بحره واستسلمت ما بنا السحره عدلنا من استنقال الرويه له الى استنزال الروايه عنه ومن تعى البرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذى نزل النحو فى الكلام منزله الملح فى الطعام لا انلتكم مراما ولا شفيت لكم غراما او تحولنى كل بد وتختصنى كل منكم بيد فلم يبق فى الجماعه الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه خباة كمه فكشف حينئذ من اسرار الغازه وبدايع اعجازه ما جلا به صدا الاذهان وجلى مطلعه بنور البرهان قال الراوى فهمنا حين فهمنا وعجبنا اذ اجبنا وندمنا على ما ندمنا واضنا نعتذر اليه اعتذار الايناس ونعرض عليه ارتضاع الكاس فقال هات لا جفاوه ومشرب لم تعوله اعدى حلاوه ثم شمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه انفا وانشد

شعر

نهانى الشيب عما فيه افراحى فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحى من معتقه وقد انار مشيب الراس اصباحى
آليت لا خامرتنى الخمر ما علقت روحى بجسمى والفاظى بافصاحى
ولا اكتست لى كاسات السلاف يد ولا اجلت قداحى بين اقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعه همى ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة ابدا شملى ولا اخترت ندمانا سوى الصاحى

بذكر وبونث ويطلق على الابل وعلى كل ما شبه بها ابل وفي
الابل الحرف وفي الناقة الضامر سميت حرفا تشبيها لها بحرف
السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل واما الاسم
المتردد بين فرد جاثم وجمع ملازم فهو سراويل قال بعضهم
هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وتحكم عجمته
الحصر بانه جازم وقال الاخرون هو جمع وواحده سروال
مثل شملال وشمابل فهو على هذا القول جمع ومعنى قولنا
ملازم اي لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل
جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة لثقله
وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الاحاد
واما الهاء التي اذا الحقت ماطت الثقل واطلقت المعتقل فهي
الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره هولك صيارفه وصياقله
فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لانها قد اصارته
الى مثال الاحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب
وصرف لهذه العلة وقد كنى في هذه الاحجية عما لا ينصرف
بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم
واما السين التي تعزل العامل من غير ان تحامل فهي اذا
دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين ان التي كانت
قبل دخولها من ادوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل ويبطل

أي عن كونها الناصبة للفعل إلى أن نصبه المخففة من الثقيلة وذلك
كقوله سبحانه علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه
سيكون ۞ وأما المنصوب على الظرف الذي لا تخفضه سوى
حرف فهو عند ولا تجره غير من خاصة وقول العامة
ذهبت إلى عنده لحن ۞ وأما المضاف الذي أخل من عرى الإضافة
بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن من
الأسماء الملازمة للإضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا
غدوة فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام
ثم نونتها أيضا ليشعر بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات
التي لا تنصرف ۞ وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح
أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على
ما هو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن
تختص معناها بما حضرك وقرب منك ۞ وأما العامل
الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو
يا ومعكوسها أي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما
في الاسم المنادى سيان وإن كانت يا أجول في الكلام
وأكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب
فقط كالهمزة ۞ وأما العامل الذي نابه لرجحته وكثرا
وأعظم مكثرا وأكثر لله تعالى ذكرا فهو باء الاسم وهذه
الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ضمير الفعل

القسم في قولك أقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لأفعلن
ثم ابدلت الواو منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب
معناهما لان الواو يفيد الجمع والباء يفيد الالصاق والمعنيان
متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق
بالاقسام ولهذا الغرض بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو
اكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل
غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم
وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات
العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر واما الموطن
الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال
بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين
الثلثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها
كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام والهاء في غير
هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة
فقد رايت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى

انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه

واما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب
فهو حيث تشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة
الاعراب فيهما او في احدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل
عيسى وموسى او من اسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجب لازالة

اللبس افراد كل منهما فى رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول
بتاخره ولما الاسم الذى لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار
منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان احدهما انها مركبة من
مه التى بمعنى اكفف ومن ما والقول الثانى وهو الصحيح
ان الاصل ما فزيدت عليها ما اخرى كما تزاد ما على ان فصار
لفظها ما ما فثقل عليهم توالى كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من الف
الاولى هاء فصارتا مهما ومهما من ادوات الشرط والجزاء
ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى الا بايراد كلمتين
بعدها كقولك مهما تفعل افعل ويكون حينئذ ملزما للفعل
وان اقتصرت منها على حرفين وهما مه التى بمعنى اكفف فهم
المعنى وثبت ملزما من خاطبته ان يكف واما الوصف الذى
اذا اردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوم بالدون وخرج
من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف اذا لحقته النون
استحال الى ضيفن وهو الذى يتبع الضيف ويتنزل فى النقد
منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقضيه وارب
اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وقرها البارح ما عرفنى جهد
البلاء وعكفنى على الاصطلاء فلم اكن ازايل وجارى ومستوقد
ناري الا لضرورة اذ بع البرد او اقامة جماعة جا فظة

٦٧

عليها فاضطررت في يوم جوّه مزمهرّ ودجنه مكفهرّ الى ان برزت من كناني لمهمّ عناني فاذا اشيخ عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتمّ بريطة واستثفر بفوطة وحواليه جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ... اصدق من عريي وان لم اقرِّ
فاعتبروا بما بدا من ضرّي ... باطن حالي وخفيّ امري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر ... فانني كنت نبيه القدر
آوي الى وفر وحدّ بتر ... تفيد صفري وتبيد سمري
وتشتكي كومي غداة اقري ... فجرّد الدهر سيوف الغدر
ولم يزل يسحتني ويبري ... وسنّ غارات الرزايا الغبر
حتى عفت داري وغاض درّي ... وبار شعري في الورى وشعري
وصرت نضو فاقة وعسر ... عاري المطا مجرّدا من قشر
كانني المغزل في التعرّي ... لا دفء لي في الصنّ والصنبر
فهل خضمّ ذو رداء غمر ... طلاب وجه الله لا للشكر
يسترني بمطرف او طمر

ثم قال يا ارباب الثراء الرافلين في الفراء من اوتي خيرا فلينفق ومن استطاع ان يرفق فليرفق فانّ الدنيا غدور والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف

وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت الأهب له
قبل موافاته وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي وجلدتي
بردتي وحفنتي جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف
الليالي فإن السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل
له قد حلوت علينا أدبك فأجل لنا نسبك فقال تبا للمفتخر
بعظم نخر إنما الفخر بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد
لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه
ثم إنه جلس محقوقفا واجرنثم مقفقفا وقال اللهم يا من
عمر بنواله وأمر بسؤاله صل على محمد وآله وأعني على البرد
وأهواله وأتح لي حرا يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بقصاصة
قال الراوي فلما جلى عن النفس العصامية والملح الأصمعية
جعلت أتبين نجومه وأرائي لحظي ترجمه حتى استبنت أنه
أبو زيد وأن تعريه أحبولة لصيد ولمح هو أن
عرفاني قد أدركه ولم يأمن أن يهتكه فقال أقسم بالسمر
والقمر والزهر والزهر إنه لن يسترني إلا من طاب خيمه
وأشرب ماء المروة أديمه فعقلت ما عناه وإن لم يدر
القوم معناه وساءني ما يعانيه من الرعدة وأن جار الجلد

وعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت
له اقبلها مني فما كذب ان افتراها وعيني تراها ثم انشد

لله من اكسبني فروة اصبحت من الرعدة لي جنة
البسنيها واقيا مهجتي وقي شر الانس والجنة
سيكسبني اليوم ثنائي وفي غد سيكسيني سندس الجنة

قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة القوا عليه من الفراء
المغشاة والجباب الموشاة ما آده ثقله ولم يكد يقله فانطلق
مستبشرا بالفرج مستنشقا للارج وتبعته الى حيث ارتفعت
التقية وبدت لي السمات النقية فقلت له لشد ما قرسك البرد
فلا تتعر من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل
بلوم هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة
وطيب تربة طيبة لولا التعري لرجعت بالخيبة وصفر العيبة
ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال اما تعلم ان سنتي
الانتقال من صيد الى صيد والانعطاف من عمرو الى زيد واراك
قد عقتني وعققتني واقنيتني اضعاف ما افدتني فاعفني عافاك
الله من لغوك واشدد دوني باب جوك ولهوك فحذفته
حذفا لتلعابه وجمجمت به للاعابة وقلت له والله لولا اوار
واغطاء على عوارك لما وصلت الى صلة ولا انقلبت الاسى من بصلة
فجازني عن احساني اليك وسترى لك وعليك بان تسمح لي ببرد

الفروة او تعرفني كافات الشتوة فنظر الي نظر المتعجب وازمهر
ازمهرار المتغضب ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس
الدابر والميت الغابر واما كافات الشتوة فسبحان من طبع
على ذهنك واوهى وعاء خزنك حتى انسيت ما انشدتك
بالامس تكرة لابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب يدفي فاكتف بما وعيت
وانكفي فقائد رفقه وقد ذهبت فروتي لشقوتي وحصلت على
الرعدة طوال شتوتي ه

المقامة السادسة والعشرون
وتعرف بالرقطاء

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة الاعواز
فلبثت فيها مدة اكابد شدة وارجي اياما مسودة الى ان رايت تمادي
المقام من عوادي الانتقام فزممت عنها بعين القالي وفارقتها مفارقة
الطلل البالي وظعنت عن وشلها لمبتغى الازاد رائضا الى المياه
الغزار حتى اذا سرت منها مرحلتين وبعدت سرى ليلتين
تراءت لي خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت اتيها لعلي
انقع صدى او اجد على النار هدى فلما انتهيت الى اهل الخيمة

بلغ العراض بالاصل والسماع

بلغ قراءة

رايت علمه روضة وساره مرموقه وسيما عليه نزه سنية ولديه
فاكهه جنية فجبته ثم جاسته فضحك الى واحسن الرد على
وقال الا تجلس الى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست
لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما حضرته فحين سفر عن الادابه
وكشر عن انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح
تلحه فتعارفنا حينئذ وحفت بى فرحتان ساعتئذ ولم ادر
بايهما انا اصفى فرحا واوفى مرحا ابا سفاره من دجنته اسفاره
ام بخصب رحاله بعد امحاله وتاقت نفسى الى ان اقتص خبر
شره وابطن داعيه بشره فقلت له من اين اياك والى اين
انسيابك وبم املات عيابك فقال اما المقدم فمن طوس
واما المقصد فالى السوس واما الجده التى اضفتها فمن رسالة
اقتضيتها فسالته ان يقرئنى دخلته ويسرد على رسالته
فقال دون مرامك حرب البسوس او تصحبنى الى السوس بصاحبته
النهار او علقت بها عليه شهرا وهو يعللنى كاسات التعليل
ويجرنى اعنة التامل حتى اذا خرج صدرى وعيل صبرى
قلت له انه لم يبق لك عله ولا لى تعله وفى غد ازجر غراب
البين واجل عنك بخفى حنين فقال حاش لله ان اخلفك او
اخالفك وما ارجات ان احدثك الا لابلك واذا كنت

فذا استربت بعدتي ولئن الظن السوء بمباعدتي فاصخ لقصص
شيبتي الممتدة واضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة فقلت هات
فما اطول طيلك واهول حيلك فقال اعلم ان الدهر
العبوس القاني الى طوس وانا يومئذ ذو قبض وقبض لا فتيل لي ولا
نقير فالجاني صفر اليدين الى التطوق بالدين فادنت لسوء
الاتفاق ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت شيمته النفاق
فتوسعت في الانفاق فما افقت حتى بهظني دين لزمني حقه
ولازمني مستحقه فتحيرت في امري واطلعت غريمي على
عسري فلم يصدق املاقي ولا نزع عن ارهاقي بل جد في التقاضي
ولج في اشخاصي الى القاضي وكلما خضعت له بالكلام واسترققت
منه رقوق الكرام ورغبت في ان ينظرني بما تيسر او ينظرني
الى ميسرة قال لا تطمع في الانظار واحتيال النضار فحقك
ما ترى مسالك الخلاص او تربني شباك الخلاص فلما رايت
احتداد لدده وان لا مناص لي من يده شاغبته ثم وافيته
ليرافعني الى الوالي والى الجرائم لا الى الحاكم في المظالم لما ان بلغني
من افضال الوالي وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما
حضرنا باب امير طوس الشيب ان لا باس ولا بوس فاستدعيت
دواة وبيضاء وانشات اليه رسالة رقطاء وهي

أخلاق سيدنا تحب وبعقوته تلب وقربه تحف ونائله
تلف وحلته نسب وقطيعته نصب وعزته ذلق وسمته
نائل وطلقه زان وقوي نهجه بان وذهنه قلب وجرب
ونعته شرق وغرب

سيد قلب سبوق مبر قطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد نابه فاضل ذكي أنوف
مقلق أزبان طبت إذا ناب هياج وجل خطب مخوف

مناظم شرفه نائلة وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه
فاض وشح قلبه غاض وخلف سحابه تحلب وذهب عبابه
تخترب منزلقة لقة فلج وغلب وتاجر جلب وخلب كف
عن هضم بري وبري من دنس غوي وقرن لبانه بعزونك
عن مذهب كثر لبس بوثاب عند بهره شر بل بعف عفة بر

فلذا يحب ويستحق عفافه شغفا فلبابه خلاب
أخلاقه غرر وفوقه فوق إذا ناضلته غلاب
سمح بهش وذو تلاف إن هفا خل فلبس جنة جلباب
لا باطل باذل خرق إذا بغته برد لا يليه باب
إن تر أزل فأغرب عصا صيه بنائه فأجتث منه ما

وجدير بمن لبّ وفطن وقرب وشطن أن يذعن لقريع زمن
وجابر زمن مذ رضع ثدي لبانه خصّ بإفاضة تهتانه
نعش وفرّج وضافر فابتهج ونافر فانزعج وفاتحوا بلج انعب
من سبلي وفرط اذ هزّ وبلى وتوّج صفاته تحت عفاته
فلا خلا ذا بهجة يمتدّ ظل حضنه فإنه نيّر من أشرق شهبه
زان من اباطره بلبس خوف ربّه
فليهن شيبنا فوزه بمفاخر ما تلت وحلت وفوته بصنائع نمت
ونمت وبلايم ترب حضرته عوث ذقه يحظ من حظوته
فإنه تليد ندب وشريد جذب وجريح نوب أترف وناظم
فلابد تستر اذا جاش لخطبه فلا يوجد فإلى من تفش
ثم بأفل فإن جبر قلت حبس تمنت وخلد باضا فدمت
هنا نم شربه برض وقوته قرض وقلقه غسق وجلبابه
خلق وقد قلق لنوغر غر بن غاشم بشجنه بحق لازم قال من
سيبنا بكفه بيان كفه توشح تمجد فافق باجر فكى من
وثاق لا خلت شجا إخلفه تر قد شاب برقه بمن زب ازلي
حتى ابدي قال فلما استشف الامير لا الهها ولمح السر
المودع فيها اوعز في الحال بقضا دينى وفصل ما بين خصمي
وبيني ثم استخلصني لمدامنته واختصني بأثرته فلبثت

بضع سنين انعم في ضيافته وارتع في ريف رأفته حتى اذا
عمرتني مواهبه واطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال
على ما بي من حسن الحال فقلت له فشكرا لمن اتاح لك
لقيان السمح الكريم وانقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد
لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد ثم قال اي ما احب
اليك ان احذيك من العطاء ام اتحفك بالرسالة الرقطاء قلت
املأ الرسالة احب الي فقال وهو وحقك احق علي فان نحلة
ما يلج في الاذان اهون من نحلة ما يخرج من الاردان ثم كانه
انف واستحيا الجمع لي بين الرسالة والجدا فقرن منه بستين
وفصلت عنه بعشين وابت الى وطني قرير العين بما حزت من
الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر
الى مجاورة اهل الوبر لاخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم
العربية فشمرت تشمير من لا يالو جهدا وجعلت اضرب
في الارض غورا ونجدا الى ان قنيت هجمة من الراغية
وثلة من الثاغية ثم اويت الى عرب ارداف اقيال واسنا
اقوال [illegible]طوني امنع جناب وقلدوني عني جد كل باب فما

نأوتني عنهم همة ولا فرع صفاتي سهم الى ان اضللت في ليلة منيرة
البدر لقحة غزيرة الدر فلم اطب نفسًا بالغا طلبها والقاء حبلها
على غاربها فقدت فرسًا محضارًا واعتقلت لدنا خطارًا
وسريت ليلتي جمعاء اجوب البيداء واقري كل شجراء ومرداء
الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته نزلت عن
متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم جلت في صهواتها وفررت عن
شجونها وسرت لا ارى اثرًا الا قفوته ولا نشزًا الا علوته
ولا واديًا الا اجتزته ولا راكبًا الا استطلعته وجدي مع ذلك
يذهب هدرًا ولا تجد وردة صدرًا الى ان حانت صكة عمي
ولفح هجير يذهل غيلان عن مي وكان يومًا اطول من ظل القناة
واحر من دمع المقلاة فايقنت اني ان لم استكن من الوقدة
واستجم بالرقدة اذ نفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت
الى سرحة كثيفة الاغصان وريفة الافنان لاغور تحتها
الى المغيربان فوالله ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى
نظرت الى شخص في هيئة سائح وهو ينحو نحوي ويستند الى
بقعتي فنزهت انعياجه الى معاجي واستعذت بالله من شر
كل مفاجي ثم ترجيت ان يتجلى مسترشدًا او يتبدى مرشدًا
فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي الفيته شيخنا السروجي
متشحًا بجرابه ومضطبعًا بهراوته فاستسنيت اذ ورد

وانسانی ما شرد ثم استوضحته من ابن انسه وبث عجره وبجره
فانشد بديهًا ولم يقل ابها

قل لمستطلع دخيلة امري لك عندي كرامة وعزازه
انا ما بين جوب ارض وارض وسرى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكازه
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جرازه
لست لي ما اسى ان فات او احزن ان حاول الزمان ابتزازه
غير اني ابيت خلوا من الهم ونفسي عن الاسى منحازه
ارقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه
لا ابالي من اي كاس تفوقت ولا ما حلاوة من مزازه
لا ولا استخير ان اجعل الذل مجازا الى تسنى اجازه
واذا ما طلبت سناجلة العار فبعدا لمن يروم نجازه
ومتى اهتز للدناياة بشر عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع الي طرفه وقال الامر ما جدع قصير انفه فاخبرته خبر
نافتي البارحة وما عانيته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات

الى ما فات والطماح الى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو انه وادٍ
من ذهب ولا تستمل الى من مال عن ريحك واضرم نار تباريحك ولو
كان ابن بوحك او شقيق روحك ثم قال هل لك في ان تقيل وتحامي
القال والقيل فان الابدان انضاء تعب والهاجرة ذات لهب
ولن يصقل الخاطر ويبسط الفاتر لها بليل الهواجر وخصوصا
في شهري ناجر فقلت ذاك اليك وما اريد ان اشق عليك فافترش
الترب واضطجع واظهر ان قد هجع وان تفقت على ان احرس
ولا انعس فاخذتني السنة لما ذقت الا لسنة فلم افق الا
والليل قد تولج والنجم قد تبلج ولا السروجي ولا المسرج فبت
بليلة نابغية واحزان يعقوبية اساور الوجوم واساهر النجوم
افكر تارة في رجلتي واخرى في رجعتي الى ان وضح لي عند
افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب يخد في الدو فالمعت
اليه بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوبي فلم يعبأ بالملمع
ولا اوى لالتياعي بل سار على هينته واصماني بسهم اهانته
فاوفضت اليه لاستردفه واحتمل تغطرفه فلما ادركته بعد
الاين واجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتي مطيته
وضالتي لقطته فما كذبت ان اذرته عن سنامها وجاذبته
طرف زمامها وقلت انا صاحبها ومضلها ولي رسلها ونسلها

فلا تكن كلما شعب شعب وتشعب فأخذ بلدغ ونصى وسنح
ولا يستحي وبيناهو يبرق ويبلن ويبسنا سد ويسلين عشينا
ابو زيد لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر فحفت
والله ان يكون يومه كامسه وبدره مثل شمسه فالحق بالقارظين
واصير خبرا بعد عين فلم ازل الا ان اذكرته العهود المنسية والفعلة
الامسية وناشدته الله اوافى اليوم للتلافى أمرّ لما فيه ابتلائي
فقال معاذ الله ان اجهز على مكلومي او اصل جزّ ورى بسمومي بل
واسيك لاخير كنه حالك واهون بمينا لشمالك فسلم عند ذلك
جاشي والجاب استيحاشي واطلعته طلع اللقحة ونزوع صاحبي
بالقحة فنظر اليه نظر ليث العرينة الى الفريسة ثم اشرع قبله
الرمح واقسم له بمرانا ذي الصبح لئن لم يتخ مبحا الذباب ويرض من الغنيمة
بالاياب ليوردن سنانه وريده وليجعلن به وليده ووديده
فنبذ زمام الناقة وحاص واقلت وله حصاص فقال لي ابو زيد
تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين وبالاهون من وبلين
قال الحارث بن همام فحرت بين لوم ابي زيد وشكره ووزنة
نفعه بضره فكانه نوجي بذات صدري او تكهن ما خامر سري
فقابلني بوجه طليق وانشد بلسان ذليق

يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي ان يكن ساءك امسي فلقد سرك يومي
فاغتفر ذا لذا واطرح شكري ولومي

ثم قال انا ابنه وانتم منه فكيف سهوتم وولى يفري اديم الارض ويركض طرفه ابان ركض فما عدوت ان اقتعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت الى جبلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله ريّق زماني يعني اوله ورايقه وقد يشدد فيقال ريّقه وقوله آخذ اخذ تفوسهم يعني اقتدي بهم يقال منه اخذ اخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة من الابل والثلة القطيع من الغنم والراغية من الابل والثاغية الشاة ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية اي لا ناقة ولا شاة وقولهم ارداف اقيال اي يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله ابناء اقوال اي فصحاء يقال للمطيق انه ابن اقوال وقوله قد ربطت فرسا محضارا الدرن الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو وماخوذ من الحضر وقوله اقترى كل سحرا ومردا الاقتراء اتبع الارض والسحر ذات الشجر والمرد الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي الى صلاته يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله

والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة إلا بالله والبسملة حكاية قول
بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة قول لا حول
ولا قوة إلا بالله حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قوله
جعلت فداك والحمدلة حكاية قوله الحمد لله وقوله فنزلت عن
متن الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب
وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم والصهوة مقعد الفارس والشحوة
الخطوة والجزع قطع الوادي عرضا وقوله ضحكة عمي يعني به قائم
الظهيرة وقد اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا
قوما عند قائم الظهيرة وصحكهم صحكة شديدة فصار مثلا لكل
من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لأنه يسدر في الهواجر
فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الأعمى ثم صغر الأعمى تصغير
الترخيم وقيل عمي كما صغر واسود وازهر فقالوا سويد وزهير
وقوله وكان يوما أطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل
القناة كما يوصف اليوم القصير بإبهام القطاة والعرب تزعم أن ظل
الرمح أطول ظل ومنه قول الشاعر شعر من الطويل

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله أجرى من دمع المقلات هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها
أبدا جار لحزنها لأنه يقال إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور
باردة ولهذا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو

وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنه وهي الحراره وقيل ان قرة العين ماخوذ من القرار فدانه دعاله ان يرزق ما تقر عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره وكانت الجاهليه تزعم ان المقلات اذا وطيت على قتيل عاش ولدها والى هذا اشار بشر بن ابي خازم في قوله

تظل مقاليت النساء يطانه يقلن الا يلقى على المرء مئزر

وقوله علقت بي شعوب يعني المنيه ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دجله وعرفه وقوله اغوز تحتها الى المغبر بان التشوير النزول للقايله ثم ان العرب تسمي النزول اخر الليل للتهويم او الاستراحه والمعبر بان تصغير المعرب وكان قياس تصغيره المعيرب الا ان العرب الحقت اخره الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله مضطغنا اهبته نحو ابه الاضطغان ان تحمل الشي تحت حضنه والاضطبان ان تجعله تحت ضبنه والضبن ما بين الابط والكشح والجواب مصدر جاب وجميع المصادر التي جات على تفعال فهي بفتح التا الا قولهم تبيان وتلقا لا غير وقوله عجري وبجري يريد به جميع امري الظاهر والباطن واصل العجر العقد الناتيه في العصب والبجر العقد الناتيه في البطن وقوله ولم يقل ايها اي لم يامرني بالكف فقال للمستزاد ايه وللمستكف ايها وقوله لامر ما جدع قصير انفه قصير هذا مولى جذيمه هو الذي جدع انفه انها ماله بانه غشي خاله جذيمه اذا اشار عليه بقصد هام

تحظى بهذا القول عندها حتى جهزته من الدار الى العراق فكان
يأتيها بالطرف منه الى ان استصحب في اخر نوبة الرجال في الصناديق
وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة وقوله
ولو ان ابن بوح لك يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة
الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسماء الذكر
وقوله شهرا ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر
ابن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله بت بليلة
نابغية اوما به الى قول النابغة فبت كاني ساورتني ضئيلة البيت
وقوله المعتل به سوى يعني اشرب يقال منه المغ ولمغ
بمعنى وقوله يلدغ ويصئي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو
يقال صأت العقرب تصئي صئيا بفتح الصاد وكسرها
اذا صوتت وكذا الفرخ وما احسن قول ابن الرومي
في هذا المعنى

تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي
الرمايا وهي مرنان

وقوله ينزو ويلبد هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال
ان اصله للجدي ينزو وهو صغير واذا كبر لان وقوله
لابسا جلد النمر هذا المثل يضرب للمتفحش الجريء لان النمر
اجرأ السبع واقله احتمالا للضيم وفي هذا اشتقاق

قولهم تمّر اي صار مثل التمر وقوله فالحق بالقارظين الاصل
في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان
المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر من النمر بن قاسط وكانا
خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما
المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذويب في قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوابل

وقوله حروري بسموم الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح
الحارة نهارا وقد تقام احدهما مقام الاخرى مجازا وقوله لبث العريس
يعني ماوى السبع يقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء
وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فاما الغيل
والخيس فلم يلحقوهما الهاء وقوله افلت وله حصاص هذا المثل
يضرب لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوى فيها
والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله وبل اهون من ويلين
هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر
وبعض الشر اهون من بعض وقوله انا تئق وانت مئق
فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق وقال التئق
هو الممتلئ غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته
والمئق هو الباكي فكان التئق يسرع الى الشر لغيظه والمئق
يضيق ذرعا باحتماله وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهتي
وما اقبل فيها طيته ما انتجعه وقوله بعد اللتيا والتي

وقال الاصمعي الحرور بالليل والسموم بالنهار وقد يكون الحرور بالنهار

اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس
ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقرت هذا الاسم على فتحته
الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان
زادت الفا في اخره واجرت اسما الاشارة عند تصغيرها على حكمه
فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك
ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل
هما من اسما الداهيه وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

اخبر الحرث بن همام قال اشخصني في بعض اسفاري افند وقصدت
به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط ارمي عن
قوس المراح الى غرض الافراح واستغني بماء الشباب عن
ملامح السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة
فسعيت وما ونيت الى ان حللت البيت فلما القيت اليه قيدي وملأت
قولي عنده عجلت الى الحمام على الاثر فاماطت عني وعثا السفر
واخذت في غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت في هيئة الخاشع
الى مسجدها الجامع لاحوز من يقرب من الامام ويتقرب افضل الانعام
فخطبت بان حللت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة
ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون فرادى وازواجا
حتى اذا اكتظ الجامع بحفله واظل تساوي الشخص وظله

ترن الخطيب في أهبته متهادياً خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة
الى ان مثل بالذروة فسلم مشيراً باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التأذين
ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الالاء الواسع
العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الامم ومصور الرمم واهل السماح
والكرم ومهلك عاد وارم ادرك كل سر علمه ووسع كل
مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله احمده
حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم. وهو الله لا اله
الا هو الواحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء معه ولا
مساعد ارسل محمداً للاسلام ممهداً وللملة موطداً ولادلة الرسل
مؤكداً وللاسود والاحمر مسدداً وصل الارحام وعلم الاحكام
ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله
وكمل الصلاة والسلام له ورحم آله الكرماء واهله الرحماء
ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام
اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح
الاصحاء واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدوا للرحلة
اعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع
وسووا اود العمل وعاصوا وساوس الامل ومهدوا لكم
حلول الاجداث وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة
المال والآل وادكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس
وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعه

سؤاله ومطلعه والمحوا الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره
وكم طمس معلما وأمر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما
همه سد المسامع وسح المدامع وإكداء المطامع وإرداء المسمع
والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود
والحساد والأساود والآساد ما مول إلا أمال وعكس الآمال ولا
وصل إلا وصال وكلم الأوصال ولا سر إلا وساء ولؤم وأساء
ولا أصح إلا وأدوى الداء وروع الأوداء الله الله رعاكم الله إلام
مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الإصرار وحمل الآصار
واطراح كلام الحكماء ومعاصاة الإله السماء أما الهرم حصادكم
والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم أما
الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة
أما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك وروادهم
حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا
ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه
وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه
وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا والصحة كاملة
والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم المرام وحصر الكلام
وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدو الحواس ومراس الأرماس
أوه لها حسرة ألمها موطد وأمدها سرمد وممارسها
مكمد ما لوالهه حاسم ولا لسدمه راحم ولا له مما عراه

عاصيه ألهمكم الله احمد الالهام وردّاكم رداء الاكرام واحلكم
دار السلام واسئله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو اسمح الكرام
والمسلّم والسلام قال الحارث بن همام فلما رايت الخطبة نخبة
بلا سقط وعروسا بغير نقط دعاني الاعجاب بنمطها العجيب
الى استجلاء وجه الخطيب فاخذت اتوسمه جدا واقلب
الطرف فيه مجدا الى ان وضح لي بصدق العلامات انه ابو زيد
ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فامسكت
حتى تحلل من الفرض وحل الانتشار في الارض ثم واجهت
تلقاءه فلما لحظني خف في القيام واحتفى في الاكرام ثم استصحبني
الى داره واودعني خصائص اسراره وحين انتشر جناح الظلام وحان
ميقات المنام احضر اباريق المدام مختومة بالفدام فقلت
اتحسوها امام النوم وانت امام القوم فقال مه انا بالنهار
خطيب وبالليل اطيب فقلت والله ما ادري اعجب من تسليك
عن ناسك ومسقط راسك ام من خطابتك مع ادناسك ومدار
كاسك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبك إلفا نأى ولا دارا ودُر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثّل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

وأقسمت لا نزال قانصة ما كر عصر الحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرعني اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه وتركته بين الملا منزلة الفضيل وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي الى ان نهضنا آيبين فودعته وهو مصر على التدليس ومسر حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال الجاني حكم دهر قاسط الى ان انتجع ارض واسط فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا ولا املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق واخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في استيطانه وينسيه هوى اوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم انافس في اجرة فما كان الا ريث لمح طرف او خطرة حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيله في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه البري واللون الدري والاصل النقي والجسم الشقي الذي قبض وبسط وسمر وقطر وادخل النار بعدما لطم ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقايض به اللاحي الملاحي المفسد المصلح المكمد

المفرج المغني المروّح ذا الزفير المحرق والحنين المشوّق واللفظ
المقنع والنيل الممتع الذي اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق
ونفث في الخرق قال فلما قرب سفسفة الهاجر ولم يبق الا
صبابة الصادر برز فتى بمسح وما معه انيس فراشها عضيله
يلعب بالعقول ويغري بالدخول في الفضول فانطلقت في اثر
الغلام لاخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويقد
نضابد الجوانب حتى انتهى عند الرواح الى حجارة القداح فتناول
باطها زعيفا وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل
والمرسل وعلمت انها شر وجبه وان لم اسل وما كذبت ان
بادرت الى الخان منطلق العنان لانظر كنه فهمي وهل قرطس
في التكهن سهمي فاذا انا في الفراسة فارس وابو زيد بوصيد الخان
جالس فيها دنيا يشتري اللقاء وتقارضنا تحية الاصدقاء ثم قال
ما الذي نابك حتى زايلت جنابك فقلت دين هاض وجوى فاض
فقال والذي انزل المطر من الغمام واخرج الثمر من الاكمام
لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم المعوان والله المستعان
فكيف افلت وعلى اي وصفيك اجفلت فقلت اتخذت الليل
قميصا وادلجت فيه خميصا فاطرق ينكت في الارض ويفكر
الى ان نسيا الفرض والفرض ثم اهتز هزة من اكتنبه قنص
او بدت له فرص وقال قد علق بقلبي ان نحيا هز من باسو
جراحك وبريش جناحك فقلت وكيف اجمع بين علل ونل
ومن الذي يرغب في ضل بن نحل فقال انا المشير بك واليك

والوكيل لك وعليك مع أن دين القوم حب التيسير ووكس الأسير
واختزال العسير واستصباح المستنير الا انهم لو خطب اليهم ابراهيم
ابن ادهم او جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على خمس مائة درهم
اقتداء بامهر الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته وعقد به انكحة بناته عليهم السلام على
انك لن تطالب بصداق ولا تلجأ الى طلاق ثم اني ساخطب في موقف
عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تشنف اذن سمع ولا خطب
بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة
المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك
هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا
ثم عاد متهللا وقال ابشر باعتاب الدهر واجتلاب الدر فقد
وليت العقد والفلت النقد وكان قد ثم اخذ في مواعدة اهل
الحي واعداد حلو الخوان فلما مد الليل اطنابه واغلق كل ذي
باب بابه اذن في الجيرة الا احضروا في هذه الساعة فلم يبق منهم
الا من هو لبى صوته وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد
والمشهود عليه جعل يتبع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ القوم
ويدعه الى ان عيل القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا اضجع الفاس
في الراس وخلق الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقلة
الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور ليكشفن سر هذا الامر
المستور ولينشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبته
واستدعى الاسماع لخطبته وقال

سأخطب خطبة

الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل
كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل الامطار
ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها
ومكور الدهور ومكررها ومورد الامور ومصدرها عم سماحه
وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السول والامل واوسع
المرمل والارمل احمده حمدا ممدودا مداه واوحده كما وحد
الاواه وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسواه
ارسل محمدا علما للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطل
احكام ود وسواع اعلم وعلم وحكم واحكم واصل
الاصول ومهد واكد الوعود واوعد واصل الله له الاكرام
واودع روحه السلام ورحم آله واهله الكرام ما لمع آل
وملع دال وطلع هلال وسمع اهلال ٥ اعملوا رحمكم
رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا
الحرام ودعوه واسمعوا امر الله وعوه وصلوا الارحام وراعوها
وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا لحم الصلاح والورع
وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار
مولدا واسراهم سوددا واحلاهم موردا واصحهم موعدا
وها هو امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمه
وماهر لها كما مهر الرسول صلى الله عليه وسلم ام سلمه وهو اكرم صهر اودع
الاولاد وملك ما اراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس
ملاحمه ولا وصم اسال الله لكم احماد وصاله ودوام

إِسْعَادِه وَأَلْهَمَ كُلًّا إِصْلاحَ حَالِه وَالإِعْدادَ لِمَعَادِه وَلَهُ الحَمْدُ السَّرْمَدُ
وَالمَدْحُ لِرَسُولِه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم   فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ البَدِيعَةِ النِّظَامِ
العَرِيَّةِ مِنَ الإِعْجامِ عَقَدَ العَقْدَ عَلَى الخَمْسِ المِئِينَ وَقَالَ لِي بِالرِّفَاءِ
وَالبَنِينَ ثُمَّ أَحْضَرَ الحَلْوَاءَ الَّتِي كَانَ أَعَدَّهَا وَأَبْدَى الآبِدَةَ عِنْدَهَا فَأَقْبَلَتْ
أَقْبَالَ الجَمَاعَةِ عَلَيْهَا وَكِدْتُ أَهْوِي بِيَدِي إِلَيْهَا فَزَجَرَنِي عَنِ المُزَاوَلَةِ
وَأَنْهَضَنِي لِلْمُنَاوَلَةِ فَوَاللهِ مَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الأَجْفَانِ حَتَّى خَرَّ القَوْمُ
لِلأَذْقَانِ فَلَمّا رَأَيْتُهُمْ كَأَعْجَازِ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ أَوْ صَرْعَى بِنْتِ خَابِيَةٍ عَلِمْتُ أَنَّهَا
إِحْدَى الكُبَرِ وَأُمُّ العِبَرِ فَقُلْتُ لَهُ يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ وَعُبَيْدَ
فَلْسِهِ أَأَعْدَدْتَ لِلْقَوْمِ حَلْوَى أَمْ بَلْوَى فَقَالَ لَمْ أَعْدُ خَبِيصَ البَنْجِ
فِي صِحَافِ الخَلَنْجِ فَقُلْتُ أُقْسِمُ بِمَنْ أَطْلَعَهَا زُهْرًا وَهَدَى بِهَا السَّارِينَ
طُرًّا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا وَأَبْقَيْتَ لَكَ فِي المَخَازِي ذِكْرًا
ثُمَّ خَرَجْتُ فِكْرَةً فِي صَوْبِ أَمْرِهِ وَخِيفَةً مِنْ عَدْوَى عُرِّهِ
حَتَّى طَارَتْ نَفْسِي شَعَاعًا وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي ارْتِيَاعًا فَلَمّا رَأَى
اسْتِطَارَةَ فَرَقِي وَاسْتِشَاطَةَ قَلَقِي قَالَ مَا هَذَا القَلَقُ المُرْمِضُ
وَالرَّوْعُ المُومِضُ فَإِنْ يَكُنْ فَرَقُكَ مِنْ أَجْلِي فَأَنَا الآنَ
أَرْتَعُ وَأَطِيرُ وَأُقْوِي هَذِهِ البُقْعَةَ مِنِّي وَأُقْفِرُ وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا
وَهِيَ تَصْفِرُ   وَإِنْ يَكُنْ نَظَرًا لِلنَّفْسِ وَحَذَرًا مِنْ حَبْسِكَ فَتَنَاوَلْ
فُضَالَةَ الخَبِيصِ وَطِبْ نَفْسًا عَنِ القَمِيصِ حَتَّى تَأْمَنَ المُسْتَعْدِيَ وَالمُعْدِيَ
وَيَتَمَهَّدَ لَكَ المَقَامُ بَعْدِي وَإِلّا فَالمَفَرَّ المَفَرَّ قَبْلَ أَنْ تُسْحَبَ
وَتُجَرَّ ثُمَّ عَمَدَ لاسْتِخْرَاجِ مَا فِي البُيُوتِ مِنَ الأَثَاثِ وَالتُّحُوتِ

ذال

وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مزروع وموزون
حتى غادر ما العاه فخه اطعم لشبحوح مخه فلما همّ ما اصطفاه وزم
وشمر عن ذراعه وحزم اقبل على اقبال من لبس الصفاقه وخلع الصداقه
وقال هل لك في المصاحبه الى البطيحه لاصلك باخرى مليحه
فاقسمت له بالذى جعله مباركا اينما كان ولم يجعله من خان في
خان انه لا قبل لي بنكاح حرتين ومعاشره ضرتين ثم قلت له
قول المنطبع بطباعه الكايل له بصاعه قد كفتني الاولى فخرا فاطلب
الاخر الاخرى فتبسم من كلامي وقد الف لا ترامي فلويت عنه عذاري
وابديت له ازوراري فلما بصر بانقباضي وتجلى له اعراضي انشد
يا صاح فاعف المودة والزمان له صروف ومعنفي في فضح من جاوزت تعنيف
العسوف

لعظم

لا تلحني فيما ابيت فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مخيف ان تمكن او مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه يدي وقد رغموا الانوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف

وورثت عن آباء الارائك والدرانك والسجوف

ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف

ووقفت في هول تراع الاسد فيه عن الوقوف

ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف

وكم ارتكضت مؤيداً في الذنوب وكم خضوف

لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار والظ بالاستغفار حتى استمال قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه المنهمل وتابط جرابه واستل وقال لابنه احتمل الباقي والله الواقي. قال المخبر بهذه الحكاية فلما رايت انسياب الحية وانتهاء الداء الى الكية علمت ان تربثي بالحان مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي اسري الى الطيب واحتسب الله على الخطيب.

المقامة الثلاثون

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت عن مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر ابن النعامة واجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران

يتنفس الصباح فبينما انا يوما بها اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رايت على
جرد من الجبل عصبة كمصابيح الليل فسالت لا ابتغاء النزهة عن
العصبة والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما المقصد فاملاك
مشهود فحدتني متعة النشاط على ان سرت مع الفراط لا فوز
بحلاوة اللقاط واحوز حلواء السماط فافضينا بعد مكابدة العناء
الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء
فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رايت دهليزها
مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهناك
شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومراى
هذه الطريقة ودعاني التطير بسلك المناحس الى ان عمدت لذلك
الجالس فعزمت عليه بمصرف الاقدار ليعرفني من رب هذه الدار
فقال ما لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هي مصطبة
المقيفين والمدرورين ولجة المستقفين والمجلوزين فقلت
في نفسي انا لله على ضلة المسعى وامحال المرعى وهممت في الحال
بالرجعى لاني استحببت العود من فوري والقهقرى دون غيري
فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا
فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة
وسجوف مرصوفة وقد اقبل الاملاك يميس في بردته وينفش
بين حفدته فحين جلس كانه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل
الاحماء وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين

لا عقد هذا العقد المبجل في هذا اليوم الأغر المحجل إلا الذي جال وجاب
وشب في الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما أشار إليه
وأذنوا في إحضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان
قامته ونور القتبان ثغامته فتباشر الجمعة بإقباله وبادر
إلى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته
ازدلف إلى مسنده ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله
المبتدي بالإفضال المبتدع للنوال المتقرب إليه بالسؤال المؤمل
لتحقيق الآمال الذي شرع الزكاة في الأموال وزجر عن نهر السؤال
وندب إلى مواساة المضطر وأمر بإطعام القانع والمعتر ووصف
عباده المتقين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين
في أموالهم حق للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من طعمة هنية
وأعوذ به من استماع دعوة بلا نية وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له إلهاً يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا
ويربي الصدقات وأشهد أن محمداً عبده ومصطفاه الرحيم ورسوله
الكريم ابتعثه لينسخ الظلم بالضياء ولينصف الفقراء من الأغنيا
فرفق صلى الله عليه وسلم بالمقلين وخفض جناحه للسائلين وفرض
الحقوق في أموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين
صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى أصحابه أهل الصفة
أما بعد فإن الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسن التناسل
لتتضاعفوا فقال سبحانه لتعارفوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

معلوم

يا أيها الناس

وجعلنا لكم شعوبا وقبايل لتعارفوا وهذا ابو الدراج ولاج بن خراج
ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح والابرام
والالحاج يخطب سليطة اهلها وشريطة بعلها قبس بنت ابي العنبس
لما بلغه من انحياز فمها واشراف اسفافها وانطماس علي معانها
وانتعاشها عند مراتيها وقد بذل لها من الصداق ثلاثا وعشارا
وصفاعا وكرازا فانكحوه نكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله اقول قولي هذا واستغفر
الله العظيم لي ولكم واسله ان يكثر في المصاطب نسلكم
ويحرس من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته وابرم
للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق حد
الاكثار واغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب
ذلاذله ويقدم اراذله قال الحارث بن همام فتبعته لانظر
عرجة القوم واكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط
زينته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين تبوا
كل شخص في رتبته وطفق يتعزى في روضته انسللت
من الصف وفررت من الزحف فجاذبني الشيخ لفتته
التي ونظرة هجم بها طرفه علي فقال الى اين يا بارد هلا
عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذي خلق طباقا
وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا لست رقاقا او تخبرني
ابن مدب صباك ومن ابن مهب صباك فتنفس الصعدا
مرارا وارسل البكا مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت

الجمع وقال اسمعه

مسقط الراس سروج وبها كنت اموج ... بلدة يوجد فيها كل شي ويروج

وردها من سلسبيل وصحاريها مروج ... وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج

حبذا نفحة رياها ومراها البهيج ... وازاهير رباها حين تجتاب الثلوج

من راها قال مرسى جنة الدنيا سروج ... ولمن ينزاح عنها زفرات ونشيج

مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج ... عبرة تهمي وشجو كلما قر يهيج

وهموم كل يوم خطبها خطب مريج ... ومساعي في الترجي فاضرات الحطوط

ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما تبين بلدته ووعيت ما انشده ايقنت انه علامتنا ابو زيد وان كان الهرم قد اوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه واحشو صدفتي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب اقلي الاكتنان بالغاب واهوى الاندلاق من القراب لعلمي ان السفر ينتج الظفر ونقلة الوطن وتجارة الوطن احدى الفطن وتخوفت من قطن فاجلت قداح الاستشارة وقد حنت زناد الاستخارة ثم استخبرت جاشا ابتت من الحجارة

وَاصعدتُ الى ساحل الشام للتجارة فلما خيّمتُ بالرّملة وألقيتُ بها
عصا الرحلة صادفتُ ركابًا تُعَدُّ للسُّرى ورجالا لا تستعدُّ لامّ
القرى فعصفت بي ريحُ الغرام واهتاج لي شوقٌ الى البيت الحرام
فزمّمتُ ناقتي وتركتُ عُلقتي وعلاقتي

وقلتُ لِلّاهي اقصر فأتى ساحةَ المقام على المقام
وأُنفقُ ما جمعتُ بارض جمعٍ واسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمتُ مع رفقةٍ كنجوم الليل لهم في السير جريةُ السيل والى الخير
جريُ الخيل فلم نزل بين ادلاجٍ وتأويبٍ وإلجافٍ وتقريبٍ
الى ان جئنا ابدي المطايا بالجحفة في ايصالنا الى الجحفة فحللناها
متأهبين للاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يك الّا ان اتخنّا
الرّكاب وحططنا الحقاب حتى طلع من بين الهضاب شخصٌ
صافي الاهاب وهو ينادي يا اهل ذا النادي هلمّ الى ما ينجي يوم
التنادي فانخرط اليه الحجيجُ وانثالوا واحتفّوا به وانصتوا فلما
رأى تألّبهم حوله واستطعامهم قوله تسنّم إحدى الاكام
ثم تنحنح مستفتحًا الكلام وقال
يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون والى من
تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون أتظنّون
ان الحجّ هو اختيار الرّواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل
وابقار الزّوامل ام تظنّون انّ النسك هو نضو الابدان
وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان

كلا والله بل هو اجتناب الخطيه قبل اجتلاب المطيه واخلاص النيه في قصد تلك البنيه وامحاض الطاعه عند وجدان الاستطاعه واصلاح المعاملات امام اعمال اليعملات فو الذي شرع المناسك للناسك وارشد السالك في الليل الحالك ما ينفع الاغتسال بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا يعدل تعريه الاجسام تعبيه الاجرام ولا يغني لبسة الاحرام عن الملتبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالقصر دون التمسك بالقصر ولا يسعد بعرفة غير اهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرتع في الحيف ولا يشهد المقام الا لمن استقام ولا يحظى بقبول الحجه من زاغ عن المحجه فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الاضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الافاضه من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وانشد

ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا ولا اعتيامك اجمالا واحداجا

الحج ان تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الانصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

وان تواسي ما اوتيت مقدرة من مد كفا الى جدواك محتاجا

فهذه ان حويتها حجة كملت وان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرا من غبنا انهم غرسوا وما جنوا ولقوا كدا وازعاجا
وانهم حرموا اجرا ومحمدة والحمد عرضهم من عاب او هاجا
اخي ابغ بما تسدي به من قرب وجه المهيمن ولا جاوز حراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية ان اخلص العبد في الطاعات او داجا
وبادر الموت بالحسنى تقدمها فما يثمنه داعي الموت ان فاجا
واقن التواضع ظلفا لا تزايله عنك الليالي ولو البستك الساجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ولو ترا اي هتون السكب ثجاجا
ما كل داع باهل ان يصاخ له كم قد اصم بسمعي بعض من ناجا
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ببلغة تدرج الايام ادراجا
فكل كثر الى قل مغبته وكل نار الى لين وان هاجا

قال الراوي فلما القح عقم الافهام بسحر الكلام استروحت ريح ابي زيد وماذني الارتياح البطاي سيد ثم تمكثت حتى استوعبت نث حكمته والجذر من اكمته ثم ردت لفتا لبه لانصفح صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فاذا هو الضالة التي انشدها وناظم القلائد التي انشدها فعانقته عناق اللام للالف ونزلته منزلة البر عند الدنف وسالته ان يلازمني فابى او يزاملني فنبا وقال آليت في حجتي هذه الا احتقب ولا اعتقب ولا احتسب ولا انتسب ولا ارتفق ولا ارافق ولا

أوَ أفوقُ من يُنافق ثمّ ذهب بهم قِبَل وغادرني أولولُ فلم أزل
أقفوه بنظري وأودّ لو يمشي على ناظري حتى توقّل أحد الأطواد
ووقف الجمع بالمرصاد لخبر ما شاهد انصياع الركبان في الأشبان
وقع بالبنان على البنان واندفع ينشد

ليس من زار زادا مثل ساعٍ على القدم ... لا ولا خادم أطاع كعاصٍ من الخدم

كيف يا قوم تستوي شيعة بانٍ ومن هدم
سيقيم المفرطون غدًا مأتم الندم
ويقول الذي تقرّب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدّمي صالحًا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام إذا خطبه صدم
واندبي فعلك القبيح ونشّجي له بدم
وادبغيه بتوبة قبل أن تحلم الأدم
فعسى الله أن يقيك السعير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثمّ إنه أغمد عضب لسانه وانطلق لشأنه فما زلت في كلّ
موردٍ يرده ومعهدٍ يتوسّده أتفقّده فأفقده وأستنجد

فأفقده

من نشدته فلا أجده حتى خلت أن الجن اختطفته أو الأرض اختطفته
فما كابدت في الغربة بهذه الكربة ولا منيت في سفرة بمثلما
منيت من زفرة

المقامة الثانية والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج
وأقمت وظائف العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني
شيبة لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا
فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة
فحرت بين إشفاق يثبطني وأشواق تنشطني إلى أن ألقي في
روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فأعتمت
القعدة وأعددت العدة وسرت والرفقة لا تلوي
على عرجة ولا تثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب
وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم في حلة القوم
وبينا نحن نتخير المناخ ونتزود الورد النقاخ إذ رأيناهم
يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا
ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فأهرعوا لهذا
السبب فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد
من الغي فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت وما ألوت
ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا أطللنا

عليه واستشرفنا الفقيه المنقود اليه الفتية ابا زيد ذا الشقر
والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء
وقعد القرفصاء واعيان الحي به محتفون واخلاطهم عليه
ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات
فوالذي فطر السماء وعلم ادم الاسماء اني لفقيه العرب العرباء
واعلم من تحت الجرباء فصمد له فتى فتيق اللسان جري الجنان
وقال اني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مايه فتيا
فان كنت ممن يرغب عن ثبات غير ويرغب مثاني مبرز
فاستمع واجب لتقابل بما يجب فقال الله اكبر ستبين
المخبر ويكشف المضمر فاصدع بما تؤمر النعل الزوجة
قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله
قال فان توضأ ثم اتكأه البرد قال يجدد الوضوء من بعد البرد النوم
قال ايمسح المتوضي انثييه قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه
الانثيان الاذنان قال ايجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان
قال وهل انظف منه للعربان الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي
قال ايستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير الضرير حرف
الوادي والبصير الكلب قال ايحل الطوف في الربيع
قال يكره ذلك للحدث الشنيع الطوف الغوط والربيع النهر
قال ايجب الغسل على من امنى قال لا ولو ثنى

وامنى

أمنى نزل منى يقال منه منى وامنى

قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال اجل وغسل ابرته

الفروة جلد الراس والابرة عظم المرفق

قال فان اخل بغسل فاسه قال هو كما لو الغى غسل راسه

الفاس العظم المشرف على نقرة القفا

قال ما تقول فيمن تيمم ثم راى روضا قال بطل تيممه فليتوضا

الروض هاهنا جمع روضة وهى البقية من الماء في الحوض

قال أيجوز ان يسجد الرجل في العذرة قال نعم وليجانب الفذرة

العذرة فناء الدار

قال فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا احد الاطراف

الخلاف الكم

قال فان سجد على شماله قال لا باس بفعاله

الشمال جمع شملة

قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع

الكراع ما استطال من الحرة

قال أيصلى على راس الكلب قال نعم كسائر الهضب

راس الكلب ثنية معروفة

قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة قال الصلاة جايزة

العانة الجماعة من حمر الوحش

قال فان صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مايه يوم

الصوع ذرق النعام

قال فان حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى

الجرو الصغار من القثا والرمان

قال ايصح صلوة حامل القروة قال لا ولو صلى على المروة

القروة ميلغة الكلب

قال فان قطر على ثوب المصلى نجو قال يمضى فى صلاته ولا غرو

النجو السحاب الذى قد هراق ماءه

قال ايجوز ان يام مقنع قال نعم ومدرع

المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع

قال فان امهم من فى يده وقف قال يعيدون ولو انهم الف

الوقف السوار من العاج او الذبل واراد انه لا يجوز للرجال الايتمام بالنساء

قال فان امهم من فخذه بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية

الفخذ العشيرة وباديه يسكنون البدو واختار بعض اهل اللغة تسكينها اى من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينهما

قال فان امهم الثور الاجم قال صل وخلاك ذم

الثور السيد والاجم الذى لا رمح معه

قال ايبطل القصر فى صلاة الشاهد قال لا والغايب الشاهد

صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لان اقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد

قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان قال ما رخص فيه إلا للصبيان

المعذور المختون وهو أيضاً المعذَّر

قال فهل للمعرِّس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه

المعرِّس المسافر الذي ينزل من آخر الليل ليستريح ثم يرتحل

قال فإن أفطر فيه العُراة قال لا ينكر عليهم لولاه

العُراة الذين أخذتهم العُرَواء وهي الحمّى برعدة

قال فإن أكل الصائم بعد ما أصبح قال هو أحوط له وأصلح

أصبح أي استصبح بالمصباح

قال فإن عمد أن أكل ليلاً قال ليشمّر للقضاء ذيلا

الليل ولد الحبارى وقيل هو ولد الكروان

قال فإن أكل قبل أن تواري البيضاء قال يلزمه والله القضاء

البيضاء من أسماء الشمس

قال فإن استثار الصائم الكبد قال أفطر ومن أجل الصيد

الكبد القيء واستثاره أي استدعاه

قال فهل يفطر بالحاج الطاخ قال نعم لا نطاهي المطائخ

الطاخ الحمّى الصالب

قال فإن ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها

ضحكت ها هنا أي حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها بإسحاق

قال فإن ظهر الجدري على ضرتها قال تفطر إن أذن لها ربها

الضرة أصل الإبهام وأصل الثدي أيضاً

قال ما تجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح

المصباح الناقة التي تصبح في المبرك

قال فان ملك عشر خناجر قال اخرج شاتين ولا تشاجر

الخناجر النوق الغزار واحدتها خنجر وخنجور

قال فان سمح للساعي بحميمته قال يا بشرى له يوم قيامته

الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال

قال ايستحق حملة الاوزار من الزكوة جزءا قال نعم اذا كانوا غزا

الاوزار السلاح وغزى جمع غاز

قال ايجوز للحاج ان يعتمر قال لا ولا ان يختمر

الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار

قال فهل له ان يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل الشجاع الشجاع الحية

قال فان قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم

الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار

قال فان رمى ساق حر فجدله قال اخرج شاة بدله

ساق حر ذكر القماري

قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام قال يتصدق بقبضة من طعام

ام عوف الجرادة

قال ايجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسبقهم الى المشارب

القارب طالب الماء بالليل والحاج اسم للجمع والواحد

قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك الوقت

الحرام المحرم والسبت حلق الراس وحل من حليل الحج

قال ما تقول في بيع الحميت قال حرام كبيع الميت

قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل

الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء أكان من جنسه ام من غيره

قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية

الهدية بالتشديد ما يهدى إلى الكعبة والسبية الخمر

ويقال الضامنه هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء

قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور على الخليقة

العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته

قال أيجوز بيع الداعي على الراعي قال لا ولا على الساعي

الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة وقد مر تفسيره

قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ومالك الخلق والامر

الصقر الدبس

قال أيشترى المسلم سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه إذا مات

السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام

قال فهل يجوز أن يباع الشافع قال ما لجوازه من دافع

الشافع الشاة التي معها سخلها

قال أيباع الإبريق على بني الأصفر قال يكره كبيع المغفر

الابريق السيف الصقيل الكثير الماء ويقال الابريق الرام

قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه قال لا ولكن ليبيع صيفيته

الصيفي الولد على الكبر والصيفية الناقة الغزيرة الدر

قال فان اشترى عبدا فبان بآمة جراح قال ما في رده جناح

الآمة مجتمع الدماغ

قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء

الصحراء الاتان التي يمازج بياضها غبرة

قال أيحل أن يحمي ماء البئر والخلا قال ان كان في الفلا فلا

الحمي المنع والخلا الكلا

قال ما تقول في ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر

الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه

قال أيجوز أن يضحى بالحول قال هو أجزأ بالقبول الحول جمع حائل

قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويقرى منها الطارق

الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت

قال فان ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاته لحم بلا محالة

الغزالة الشمس وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت

قال أيحل الاستطراق قال هو كالقمار بلا فرق

الطرق الضرب بالحصا وهو من أفعال الكهنة

قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور فيما بين الاباعد

محظور

القاعد التي قعدت عن الحيض او عن الازواج

قال ابنام الغافل تحت الرقيع قال اجيب به في البقيع

الرقيع السماء وعني بالبقيع بقيع المدينه

قال ابيع الذي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا العجوز

العجوز الخمر وقتلها مزاجها

قال الجوز ان يقتل الرجل عن عماره ابيه قال ما جوز للحامل ولا نبيه

العماره القبيله

قال ما تقول في التهود قال هو مفتاح التزهد

التهود التوبه ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك

قال ما تقول في صبر البليه قال اعظم به من خطيئه

الصبر الحبس والبليه الناقه تحبس عند قبر صاحبها

فلا تسقى ولا تعلف الى ان تموت وكانت الجاهليه

تزعم ان صاحبها يحشر عليها

قال الجوز ضرب السفير قال نعم والحمل على المستنشر

السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستنشر

الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحايل

قال ايعز الرجل اباه قال يفعله البر ولا يا باه

التعزير التعظيم والنصره

قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال حبذا ما نوخاه

افقره اعاره ناقة يركب فقارها

قال فان اعرى ولده قال يا حبذا ما عمله اعراه اعطاه ثمر نخله عاما

قال فان اصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار

المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى قوى

قال ايجوز للمراة ان تضرم بعلها قال ما حظر احد فعلها

البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض

قال فهل تؤدب المراة على الخجل قال اجل الخجل سوء احتمال الغنى

قال ما تقول في من يحنث ثلة احبته قال اثم ولو اذن له فيه

يحنث ثلته اذا اغتابه وقدح في عرضه

قال ايجب الحجر على صاحب الثور قال نعم ليامن غائله الجور

الثور الجنون

قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم قال نعم الى ان يستقيم

يقال ضرب على يده اذا حجر عليه

قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا

الربض الزوجة

قال فمتى يبيع بدن سفيه قال حين يرى له الحظ فيه

البدن الدرع القصيرة

قال فهل يجوز ان يبتاع له حبشيا قال نعم اذا لم يكن معنيا

الحش النخل المجتمع

قال أيجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم إذا كان عالما

الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده

قال أيستقضى من لبست له بصيرة قال نعم إذا حسنت منه السيرة

البصيرة ههنا الترس

قال فإن تعرى من العقل قال ذاك عنوان الفضل

العقل ضرب من الوشي

قال فإن كان له زهو جبار قال لا إنكار ولا إكبار

الزهو البسر الملون والجبار النخل الذي فات اليد وصفة النخلة الفاعل

قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أريبا

المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب

قال فإن بان أنه لاط قال هو كما لو حاط

لاط الحوض إذا طينه

قال فإن عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل غربل أي قتل

قال فإن وضح أنه مأبون قال هو وصف له زين

المأبون الذي يعول ويكفي المؤونة من مأن يمون

قال ما يجب على عابد الحق قال الحلف بالإله الخالق

العابد ههنا الجاحد والحق ههنا الدين

قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال يفقأ عينه قولا واحدا

البليل الرجل الخفيف

قال فان جرح قطاة امراة فماتت قال النفس بالنفس اذ فاتت

القطاة ما بين الوركين

قال فان قتل الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه

الحشيش الجنين الملقى ميتا

قال ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لاقامة الردع

المختفي نباش القبور

قال فان سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب

الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي السدس سديس

قال فان بان على المراة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق

السرق الحرير الابيض

قال أينعقد نكاح لم تشهده القوارى قال لا والخالق البارى

القوارى الشهود لانهم يقرون الاشياء اي يتتبعونها

قال ما تقول في عروسين باتت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بسحرة

قال لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق

يقال باتت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان افتضها قيل باتت
بليلة شيباء والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الاول وكني به
عن طلاقها وردها الى اهلها

فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح وحبر لا

بلغ منحة المادح ثم اطرق اطراق الحيي وازم ازمام العيي فقال
له ابو زيد يا فتى فانى منى والى منى فقال انه لم يبق في هاتي مرماه
ولا بعد اشراق ضحك ممار اه فبالذي ابرا رضاك ثم احسن ما اسا
فانشد بلسان ذلق وصوت صهصلق

انا في العالم مثله ولاهل العلم قبله
غير اني كل يوم بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل بطوبى لم يطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وبهدى فاجعلهم ممن يهدى
وبهدى فساق اليه القوم ذودا مع قينة وسالوهم ان يزورهم
القينة بعد القينة فنهض يتبعهم العود وتزجى الامة والذود
قال الحارث بن همام فاعترضته فقلت عهدي بك شيبها
فمتى صرت فقيها فظل هنيهة يجول ثم انشا يقول

لبست لهذا الزمان لبوسا ولا تستضر فيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما يلايمه لاروق الجليسا
فعند الرواة ادير الكلام وبين السقاة ادير الكووسا
وطورا ابو عظى اسيل الدموع وطورا بلهوى اسر النفوسا
واقري المسامع اما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت ارعف في البراع تساقط درا يحلي الطروسا

ابقه

وكم مسدلاتٍ حكين السها خفاءً فقرن بالمنفى شموسا
وكم مليحٍ خلبن العقول وأسأرن في كل قلبٍ رسيسا
وعذراء فهت بها فأثنى عليها الثناء طليقًا حبيسا
على أنني من زماني خصمت بكيدٍ ولا كيد فرعون موسى
يسعّر لي كل يوم وغًى أطامن لظاها وطيسًا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوى ويشبن الرؤوسا
ويدني إلى البعيد البغيض ويبعد عني الفهه الأنيسا
ولولا خساسة أخلاقه لما دار حظّي منه خسيسا
فقلت له خفّض الأحزان ولا تلم الزمان وأشر لمن نقلك عن مذهب
إبليس إلى مذهب ابن إدريس فقال دع الهناة ولا تهتك الأستار
وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن ترحض بالمزار درن
الأوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله
لقد أوجبت ذممًا وطلبت إذ طلبت أممًا فهاك ما يشفي
النفس وينفي اللبس قال فلما أوضح لي المعمّى وكشف عني الغمّى
شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل في مسامرته
مدة مسايرته فيما أنساني طعم المشقة ووددت معه بعد
الشقة حتى إذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول
كأنْ أشأم وأعرق وغرّب وشرّق فيهم

المقامة الثالثة والثلاثون

اخبر الحارث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت الا اؤخر
الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات اراعي
اوقات الصلوات واحاذر من ماثم الفوات واذا رافقت في رحلة
او حللت بحلة هجرت بصوت الداعي اليها واغريت بمن يحافظ
عليها فاتفق حين دخلت تفليس ان صليت مع مفاليس فلما قضينا
الصلوة وازمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة
والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوق
در العصبية الا ما حلف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له
الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد له القوم الحبا
ودرسوا منال الربا فلما استشعر انصاتهم ورزانة حصاتهم
قال يا اولي الابصار الرامقة والبصائر الرائقة اما يغني عن الخبر
العيان وينبي عن النار الدخان شيب لائح ووهن فادح
وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال
وولي واال ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت
والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار
ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة
النوى ولم اقم هذا المقام الشائن واكشف لكم الدفائن
الا بعد ما شقيت وبليت وشئت مما لقيت وليتني لم اكن
بقيت ثم تاوه اهة الاسيف وانشد بصوت ضعيف

اشكو الى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه

مع قوم من مفاليس

وحادثات قرعن مروتي وقوضن مجدي وبنيانه

واهتصرن عودي وبدلن من تهتصر الاحداث اغصانه

وامحلت ربعي حتى خلت من ربعي المحل جرذانه

وغادرتني حائرا بائرا اكابد الفقر واشجانه

من بعد ما كنت اخا ثروة يسحب في النعمة اردانه

يخبط العافون اوراقه ويحمد السارون نيرانه

فاصبح اليوم كأن لم يكن اعانه الدهر الذي عانه

وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يحزنه ما يرى من ضر شيخ دهره خانه

يفرج الهم الذي همه ويصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة الى ان تستثبته لتستنجز خانه
وتستنفض حقيبته فقالت له قد عرفنا قدر زينك ورايك
در من زيتك فعرفنا دوحة نبعك واخبر الشام عن نسبك
فاعرض اعراض من مني بالاعنات وبشر بالنبات وجعل يلعن
الضرورات وبانقص من تعيض المروات ثم انشد بلفظ صادع
وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذيذ على اصله
فكل ما حلا جنى تؤتى به ولا تسأل الشهد عن نحله

ومبرز إذا ما اعتصرت للأروام سلافة عصر لم خلّه
لتغلي وترخص عن خبرته وتشتري كلا اشتري مثله
فعاذ على الفطن اللوذعي دخول الغميزة في عقله
قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم حسن أدائه مع دائه
حتى جمعوا له حبا بالحبن وحفا بالثبن وقالوا له يا هذا إنك حمت
على ركيته بحبه وتعرضت لحلبة خلبته فخذ هذه الصبابة
وهبها لا أخطأ ولا إصابة فنزل فلهم منزلة الكثير ووصل
قبوله بالشكر ثم تولى يجر شقه ويبغي بالخيط طرقه قال
المخبر بهذه الحكاية فصورت لي أنه مجمل الجلبة منمنع
في مشيته فنهضت أنهج منهاجه وأقفو أدراجه وهو يلحظني
شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر
إلي نظر من هش وبش وما حص بعد ما غش وقال آتي لأخالك
أخا غربة وزايد صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرق
ويشفق عليك ويشق فقلت له لو أتاني هنا الرفيق لو أتاني
التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط
ثم ضحك ملبيا وتمثل لي بشرا سويا فإذا هو شيخنا السروجي
لا فلسه لحبسه ولا شبهه في وسمه ففرحت بلقيته وكدت
لفوته وهممت بملامته على سوء مقامه فتجافاه وأنشد
قبل أن أحاوره: تظهرت بزي لحابقال فقيه يزجي الزمان المزجي

وأظهرت للناس أن قد فلجت فكم نال قلبي به ما رجا
ولولا الرتانة لم يرتب لي ولولا التفالج لم ألق فلجا

قال ثم إنه لم يبق بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع فإن كنت الرفيق
فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين ورافقته عامين أجردين وكنت
على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتت

المقامة الرابعة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال لما أجبت البيد إلى زبيد صحبني غلام
كنت ربيته إلى أن بلغ أشده وثقفته حتى أكمل رشده وكان
أنس بأخلاقي وخبر مجاري وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي ولا يخطي
في المرامي لا جرم أن قربه ألف طنب بصفري وأخلصته لحضري
وسفري فألوى به الدهر المبيد حين ضمتنا زبيد فلما
شالت نعامته وسكنت نأمته بقيت عاما لا أسيغ
طعاما ولا أريغ غلاما حتى ألجأتني شوائب الوحدة ومتاعب
القومة والقعدة إلى أن أعتاض عن الدر الخرز وأرتاد من هو
سداد من عوز فقصدت من بيع العبيد سوق زبيد
وقلت أريد عبدا إذا قلب وحمد إذا جرب ولكن
ممن خرجه الأكياس وأخرجه إلى السوق الإفلاس فاهتز به
كل منهم لمطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت
الأهلة دونها وتقلبت كونها وحونها وما نجز من

وعودهم وعد ولا سبح لها رعد فلما رأيت أن النخاسين ناسين أو متناسين
علمت أن الحر كل من خلق بقري وأن لن يحك جلدي مثل ظفري
فقصدت مذهب القوبض وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض
فإني لأستعرض الغلمان وأستعرف الأثمان إذ عارضني رجل قد
اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال

اشتر مني غلاماً صنعا … في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نيط به مضطلعا … يشغله إن قال أو إن قلت وعى
وإن تصله عثرة يقل لعا … وإن تسمه السعي في النار سعى
وإن يصاحبه ولو يوماً رعى … وإن تقنعه بظلف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جمعا … ما فاه قط كاذباً ولا ادعى
ولا أجاب مطمعاً حين دعا … ولا استخان ستر أو دعا
وطالما أبدع فيما صنعا … وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا ضنك عيش صدعا … وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة
النعيم وقلت ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ثم استنطقته
عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته من صباحته
وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة
ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحاً وقلت قبحاً لمثلك وشقحاً

غيظه

تغاير في الضحى أسفاً الجد ثم انغض رأسه إليّ وأنشد

يا من تلهّب غيظه إذ لم أبح باسمي له ما هكذا من ينصف

إن كان لا يرضيك إلا كشفه فلم اصخ لها أنا يوسف أنا يوسف

ولقد كشفت لك الغطاء فإن تكن فطناً عرفت وما إخالك تعرف

قال فتراءى لي بشعره واستبى لي بسحره حتى شدهت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يلزني همّ إلا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لا وقبه وكنت أحسب أنه سيشتطّ شزراً إليّ ويغلي السيم على ما حلق إلى حيث حلّقت ولا علق بما أعلقت بل قال إن العبد إذا نزر ثمنه وخفّت مؤونته تبرّك به مولاه وانحف عليه هواه وإني لا وثر أن يحبب هذا الغلام إليك بأن أخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم إن شئت واشكر لي ما حييت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد في الرخيص الحلال ولم يخطر لي ببال أن كل مرخص غال فلما خفقت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام ولا هملان دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع

وهل في شرعة الإنصاف أني أكلف خطة لا تستطاع

وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

أما جرّبتني فخبرت مني نصائح لم يمازجها خداع

وكم ارصدتني شركا لطير نفرته وفي حبائل السباع
ونطت بي المطامع استفادته مطاوعه وان بها اتباع
ولكن كربهه لم ابال فيها وعنهم لم يكن لي فيه باع
وما ابديت الى الايام جرما فيلحق في مصابي منه القاع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم او يذاع
فاني شاغ عند لسن عهدي كما يرتابها الصناع
ولم سمحت فروتك بامتهاني وان اشري كما يشرى المتاع
وهلا صنته عرضي عنه صوني حبيك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا شكاب فما يباع ولا يباع
فما انا دون ذاك الطرف لا زهطبا على فوقها تلك الطباع
على اني سا انشد عند بيعي اضاعوني واي فتى اضاعوا
قال فلما وعى الشيخ ابياته وعقل منا غاته نفس الصعداء
وبكى حتى ابلى البعداء ثم قال لي اني اجل هذا الغلام محل
ولدي ولا امترته عن فلاذ كبدي ولولا حلوة مرامي وخبو
مصابيحي لما درج عن عيشي الى ان يشيع نعشي وقد رايت ما نزل
به من لوعة البين والموت فهل لك في تسليه قلبه ونسيه
كربه بان تعاهدني على الاقامة فيه متى استقلتموا لا تستقلني
اذا انقلت وقع الاثار المستفاده المدونه عن الشان مرافل انا ادما

المضاع

بيعته اقاله الله عثرته قال الحارث بن همام فوعدته وعدا
ابرزه الحياء وفي القلب اشياء ثم استدنى الغلام حين نبذ اليه وقبل
ما بين عينيه وانشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والاشفاق
فما تطول مدة الفراق ولا تني ذوايب التلاقي
تحسن عون الفادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى وسمح ذيله وولى فلبث
الغلام في زفير وعويل ربما تقطع مدى ميل فلما استفاق وهذف
دمعه المهراق قال اتدري لم اعولت وعلام عولت قلت لا ظن
فراق مولاك هو الذي ابكاك فقال انك لفي واد وانا في واد ولكم
بين مريد ومراد ثم انشد

لم ابك والله على الف نزح ولا على فوت نعيم وفرح
وانما مدمع اجفاني سفح على غبي لحظه حين طمح
وزطه حين نعتي وافتضح وضيع المنقوشة البيض الوضح
وبك اما تاجتك هاتيك الملح بانني حر وبيعي لم يبح
اذ كان يوسف معنى قد وضح

قال فنبلت مقالة اي مراة المداعب ومعرض الملاعب فتملت
تملي المحقق وتبرأ من طينة الزرق فجلنا في مخاصمة اتصلت
بملاكمة وافضت الى محاكمة فلما اوضحنا للقاضي الصورة وتلونا

فلمن خ

عليه السوء قال الا ان من انذر فقد اعذر ومن حذر كمن بشر ومن بصر
فما قصر وان فيما شرحناه للبلاغ على ان هذا الغلام قد سهل فما ارعويت
ونصح لك فما وعيت فاستر داء بلهك واكتمه ولم تفتك
ولا تلمه وحذار من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فانه حر
الا دبر عبر معرض للتقويم وقد كان ابوه احضره امس ليسل
افول الشمس واعترف بانه فرعه الذي انشاه وان لا وارث له
سواه فقلت للقاضي اوتعرف اباه اخزاه الله فقال وهل يجهل
ابو زيد الذي جرحه جبار وعند كل فاضل له اخبار واخبار
فتحرقت حسدا وجولت وافقت ولكن [illegible] الوقت وايقنت انه
كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فكسرت طرفي ما انتهوا اليه
الا اعاملنا منهما ما ابقيت ولم ازل اناوه بحسرتي صفقتي والافتضاح

مثلتهما

بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي وحرارة ماضي يا هذا
ما ذهب من مالكما وعظك ولا اجرم اليك من يقظك وايقظ
بما نابك وكان لم يصبك ما اصابك وتذكر ابدا ما دهمك لتتقي الذي
دراهمك وتخلو بخلق من ابتلي فصبر وتجلت له العبرة فاعتبر
فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا ذيل الغبن والغبن
ونويت مجانبة ابي زيد بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت
اتنكب عن ذراه ولحيت ان اراه الى ان عنسني في طريق ضيق
فحياني تحية شيق فما ردت عليه ان غشيت وما تبسمت
فقال ما بالك سمحت بانفك على انفك فقلت انسيت انك

احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضطرني تهماني بان
ثم انشد متلافيا

يا من بدا منه صدود موحش وتجهم ... وغدا يريش ملاما وما من دونهن الاسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الادهم ... اقصر فما انا فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط قبلي يوسفا وهم هم ... هذا واقسم بالتي يسري اليها المتهم
والطائفين بها وهم شعث النواصي سهم ... ما قمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر اخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت واما دراهمك فقد طاحت فان كان اقنعك اعتذاري وازورار عني لفرط شفقتك على غيبة نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطئ على جمرتين وان كنت طويت كشحك على اطراحي نسيتك لتستنقذ ما علق باشراكي فليبك على عقلك البواكي
قال الحارث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب الى ان عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وان كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلاثون

روى الحارث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف المجتاز ولو ان اوفاز فلم استطع تعديه ولا تخطي قلبي تخطيه فبعثت اليه لاسبك سر جوهره وانظر كيف ثمرة من زهره فاذا اهله افراد والعالج البهم مفاد وبينما

على

نحن في فكاهة اطرب من الاغاريد واطيب من جلب العناقيد اذ
احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان طليق
واباني بانه منطيق ثم احتبى حبوة المسندين وقال اجعلنا اللهم من
المسددين فان درأه القوم لطمريه وتسوا المرء باصغريه واخذو
يتداعون فصل الخطاب ويعدون عوده من الاحطاب فهو لا
يفيض بكلمة ولا يبين عن سمة الى ان سبر قدح الجهم وخبر
شائلهم وراجحهم حين استخرج دفائنهم واستثل كنائنهم قال
يا قوم لو علمتم ان وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا
اخلاق وقلتم ماله من خلاق ثم تحفز بينابيع الادب
والنكت النخب ما جلب بدائع العجب واستوجب ان يكتب
بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل
للرحل وتأهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب
سيله وقالت له قد ارتبنا وشم فلا حرج فخبرنا عن قبيلك
ومحتدك فصمت صموت من افحم ثم اعول حتى رحمه
قال الراوي فلما رابني شوب ابي زيد وزوبه واسلوبه المالوف
وصوبه تاملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه
فاذا هو اياه فكتمت سره حتى كتم الداء الدخيل وسترت
مكره وان لم يكن يخيل حتى اذا نزع عن اعواله وقد عرف
عنوني على حاله رمقني بعين مضاحك ثم طفق ينشد بلسان
مباك

أستغفر الله وأعنو له من فرطاتٍ أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتقٍ عانسٍ ممدوحة الاوصاف في الانديه
قتلتها لا اتّقي وارثاً يطلب مني قوداً او ديه
وكلما استذنبت في قتلها احلت بالذنب على الاقضيه
ولم تزل نفسي في غيّها وقتلها الابكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أُرِق مذ شاب فوداي دماً من عاتقٍ يوماً ولا مُصبيه
وها انا الآن على ما ترى مني ومن حرفتي المكديه
اربّ طفلاً هال تغيّبها وتحجّبها حتى عن الاهويه
وهي على التعنيس مخطوبةٌ خطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون الا مئه
واليد لا توكي على درهمٍ معاً الارض فقراً والسما مصحيه
فهل معينٌ لي على نقلها مصحوبةً بالقينة المُلهيه
فيغسل الهمّ بصابونه والقلب من افكاره المضنيه
ويقتني منّي الثناء الذي يضوع ريّاه مع الادعيه

بكذا

قال فلم يبق في الجماعة الا من ندبت له كفه واتاح له عرفه فلما
نجحت بغيته وكملت ما بغته اخذ يثني عليهم بصالح وبسم عن
شاق سارح فتبعته لاستعرف زبيبه خبره ومن قتل في حبان
امره فكان وشك قيامي منتزله ترامي فازدلف مني وقال افقه عنّي

فقل لمن لام يا صاح مزج المدام لبئس فعلي بالهدم أو حسام

والتي عنيت هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

ولتجهيزها الى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومقامي

فتفهم ما قلته وتحكم في التغاضي ان شئت او في الملام

ثم قال انا اعرف بلدك وانت اعرف بلد وبيننا بون بعيد ثم ودعني

وانطلق وزودني نظرة من ذي علق بملطية

المقامة السادسة والثلاثون

اخبر الحارث بن همام قال اخطبت ملطية البين وحقيبتي ملأى من العين فجعلت اتخير اي مذ القيت بها عصاي ان اتورد موارد المرح وانصيد شوارد الملح فلم يبق بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مرتع حتى اذا لم يبق لي فيها مارب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لانفاق الذهب في ابتياع الاهب فلما اكملت الاعداد وتهيأت للطعن منها او كاد رايت تسعة رهط قد سبأوا قهوة وارتبأوا ربوة وديدنهم تفنيد اللاحظ وفكاهتهم حلوة الالفاظ فنحوتهم طلبا للمبادأة بهم لا للمبداة منهم وشعفا لممازجتهم لا لرجاحتهم فلما استطلعت عاشرهم واصحبت معاشرهم الفيتهم ابناء علات وقذائف فلوات الا ان لحمة الادب قد الفت بينهم الفة النسب وساوت بينهم في الرتب حتى لا جو مثل كواكب الجوزاء وكالجملة المتناسبة الاجزاء فابهجني الاهتداء اليهم واحمدت الطالع الذي طلعني عليهم وطففت

أفيض بقدحي مع قداحهم وأستشفي بزناد فكرهم حتى أدتنا شجون
المفاوضة الى التحاجي بالمقايضة هولك اذا عنيت به الالزامات
ما مثل النوم فات فانسابا نحلو السهاو الفهم ونجني الشوك والثمر
وبينا نحن ننشر القشيب والرث وننثل السمين والغث طلع
علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقي خبره وسبره
فمثل مثول من يسمع ويبطر ويلقط ما ينثر الى أن نفضت الأكياس
وحصحص اليأس فلما رأى إجبال القرائح وإكداء المائح والماتح
جمع أذياله وولانا قذاله وقال ما كل سوداء تمرة ولا كل
صهباء خمرة فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالأعواد وضمنا دون
وجهته بالأسداد وقلنا له ان دوا الشوق ان يحاص ولات القصاص
القصاص فلا نطمع في ان تبرح وتهتز الفنق وتسرح فلوى عنانه
راجعا ثم جثم بمكانه رابضا وقال أما اذا استثرتموني بالبحث
فسأحكم حكم سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية
والشمول الذهبية أن وضع الأحاجي لامتحان الألمعية واستخراج
الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ
معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط
ولم يدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه الحدود ولا
ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت فكل لنا من كيلك
وأفض علينا من نيلك فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي
الظنون ثم قابل بناظوره القوم وقال

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد ماذا يماثل قولي جوع امد يزاد
ثم ضحك الى الثاني وانشد يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين
ثم لحظ الثالث وانشا يقول يا من نتائج فكره مثل العقود الجابره
ما مثل قولي للذي حاجيت صادف جابره
ثم اتلع الى الرابع وقال ايا مستنبط الغامض من لغز واضمار
الا اكشف لي ما مثل تناول الف دينار
ثم اومى الى الخامس ببصره وانشد يا ايها الالمعي اخو الذكاء المجلي
ما مثل اهمل حليه بين هذيت وعجل
ثم التفت لفت السادس وقال يا من تقصر عن مداه خطى مجاريه وتقصر
ما مثل قولك للذي اضحى يحاجيك اكفف اكفف
ثم حلج السابع بحاجبه وقال يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت
بين فما زلت ذا بيان ما مثل قولي الشفيق افلت
ثم استنصت الثامن وانشده يا من حدائق فضله مطلولة الازهار غضه
ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اختار فضه
ثم حدج التاسع ببصره وقال يا من يشار اليه في القلب الذكي وفي البراعه
اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دس جماعه
قال الراوي فلما انتهى الي هز منكبي وقال
يا منشئ النكت التي تشجي الخصيم بها وتسكت انت المبين فقل لنا
ما مثل قولي خاتبي اسكت

قد اهملتكم

ثم قال قد اهملتكم وامهلتكم وان شئتم ان اعللكم عللتكم قال فالجانا
لهب الغلل الى استشفا العلل وقال لست ممن يستاثر على نديمه ولا
ممن يمنعه في اديمه ثم كر على الاول وانشد

يا من اذا اشكل المعمى جلته افكاره الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجي خذ نلك ما مثله حققه

ثم ثنى جيده الى الثاني وقال يا من بدا بيانه عن فضله مبينا
ما ذا مثال قولهم حاز وحين زيناه

ثم اوحى الى الثالث بلحظه وانشد يا من غدا في فضله وذكايه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي حاجاك انفق نمع

ثم حملق الى الرابع وقال يا من اذا ما غوص دجا انار ظلامه
ما ذا يماثل قول استنشق ريح مدامه

ثم اومض الى الخامس وقال يا من نزه فهمه عن ان يروي او يشكا
ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي غط هلكى

ثم اقبل قبل السادس وانشد يا اخا الفطنه التي بان فيها كماله
سار بالليل مدة اي شي مثاله

ثم نحا بصره الى السابع وقال يا من تحلى بفهم اقام في الناس سوقه
لك البيان فبين ما مثل احبب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وانشد يا من سمو ذروه في الفضل فاقت كل ذروه
ما مثل قولك اعط ابن بقا بلوح بغير عروه

ثم ابتسم إلى الناشئ وقال يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك
ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكا النور ملكي
ثم قبض لجمعه على زندي وقال يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات
ونور كوكبه ماذا أمثال صغير جحفلة بينه تيما تأتيم به
قال الحارث بن همام فلما أطربنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه
قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان
فإن أنت منيت وإن شئت عميت فظل يشاور نفسه ويقلب
قرحه حتى هان بذل الماعون عليه فأقبل حينئذ على الجماعة وقال
ساعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم أنكم تعلمون فأوكوا عليه
الأوعية وتوضوا به الأندية ثم أخذ في تفسير صقل به الأذهان
واستفرغ معه الأردان حتى أضحى الأفهام أنور من الشمس
والأكمام كأن لم تغن بالأمس ولما تم بالمفسر سبيل عن المفسر
تنفس كما يتنفس الثكول ثم أنشأ يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب
غير أني بسروج مستهام القلب صب
هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب
وإلى روضتها الغناء دون الروض أصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا أعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي أذنى ملحه
الأحاجي وأخذت أصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمنشيه

توشيته لمنشئه

ثم التفت فاذا به قد طمر ونأى بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر اين سكع
وصقع ۞ تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

اما جوع امد بزاد فمثله طوامير واما ظهر اصابه عين فمثله
مطاعين واما صادف جائزة فمثله الفاضله واما تناول الف دينار
فمثله هاديه واما اهمل حلبة فمثله الغاشيه واما اكفف الكف
فمثله مهمه واما التشقيق افلت فمثله الاخطار واما ما
اختار فضه فمثله ابا رقه لان الرقه من اسما الفضه وقد نطق بها
النبي صلى الله عليه وسلم فقال في الرقه ربع العشر واما دس جماعه
فمثله طايفه واما خالي اسكت فمثله خالصه لانك اذا اتيت
مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنه ومتحركه
وقد حذف ها هنا حرف الندا كما حذفه في اصل الاحجيه وصه بمعنى
اسكت واما خذ ذلك فمثله هاتيك واما حمار وحش ربنا
فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في جوف
الفرا واما قوله اتقوا نقع فمثله منتقم لان الامر من مان يمون من
ومضارع وقم منه تقم واما استنشق ريح مدامه فمثله رحراح
لان الامر من استدعا الرايحه رح واما غط هلكى فمثله صنبور
لان البور هم الهلكى وفي القران وكنتم قوما بورا واما سار بالليل
مده فمثله سراحين واما احبس فروقه فمثله مقلاع لان الامر من
وقى يقي ق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا
واما اعط ابريقا بلوح بغير عروه فمثله اسكوب لان الاوس العطا
والامر منه اس والكوب الابريق بغير عروه ۞

وَأمّا الثور ملاقي فمثله اللآلي لان اللأى وزن القفا ثور الوحش
وَأمّا صفير جحفله فمثله مُحاشفه لان المكا الصفير قال الله تعالى
وَما كان صلاتهم عند البيت الا مُكاءً وَتصديةً وَالاصل في المكاء
المدّ ولكنه قصره في هذه الاحجيه كما حذف همزة القرا في احجيته
وَكلا الامرين من قصر الممدود وَحذف المهموز جائزه

المقامة السابعة وَالثلاثون

حكى الحارث بن همام قال اصعدت الى صعدة وانا ذو شطاط كالصعدة
وَاشتداد يبذّ بنات صعدة فلما رايت تنفّر بها
وترعيت خضرتها سالت النجار بها والرواة عمّن تجتنيه من السراة
وَمعادن الخيرات لاتخذه جذوة في الظلمات وَعدّة في الظلامات
فنعت لي قاضٍ بها رحيب الباع خصيب الرباع تميمي النسب
وَالطباع فلم ازل اتقرب اليه بالالمام وَاتفوّق عليه بالاجمام حتى
صرت صدا صوته وَسلمان بيته وَثقت مع استنارة شهابه
وَاستشفاف زنده اشهد مشاجر الخصوم وَاستقري المعصوم
منهم وَالموصوم فبينما القاضي جالس للاستجال في يوم المحفل
وَالاحتفال اذ دخل شيخ بالي الرياش باد الارتعاش فتصدر
الحفل بتصدّر نقّاد ثم زعم ان له خصمًا غير منقاد فلم يلبث
الا كشوء نشره او وحي اشاره حتى احضر غلام كانه
ضرغام فقال الشيخ ايد الله القاضي وعصمه من التغاضي ان ابني
هذا كالقلم الردي وَالسيف الصدي يجهل اوصاف الانصاف
وَيرضع اخلاف الخلاف ان اقدمت احجم واذا اعربت

اعجم وان ادبته احمد ومني بنيت ثم دمع اني كفلته مذ دب
الى ان شب فلتشله اللطف من ربى ورب فاكبر القاضي ما شرا
اليه واطرف به من حواليه ثم قال اشهد ان العقوق احد الثكلين
ولرب عقوق اقر للعين فقال الغلام وقد امضه هذا الكلام
والذي نصب القضاة للعدل وملكهم اعنة الفصل والفصل
انه ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا امنت ولا انبرى الا واحزنت
ولا اورى الا واصرمت بيد انه ممن يبغي بيض الانوق ويطلب
الطيران من النوق فقال له القاضي وبم اعنتك وامتحن طاعتك
قال انه مذ صفر من المال ومني بالامحال يسومني ان الحط بالسوال
واستمطر سحب النوال لعمر نشربه الذي غاض ونجبر من جاهه
ما انهاض وقد كان حين اخذني بالدرس وعلمني ادب النفس اشرب
قلبي ان الحرص منعبة والطمع متعبة والشره متخمة والمسالة
ملامة ثم انشدني من فلق فيه وتحت قوافيه

ارض بادنى العيش واشكر عليه شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المتراقي اليه
وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما نابت من فاقة صبر اولي العزم واغض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو خولك المسؤول ما في يديه
فالحر من ان قذيت عينه اخفى قذاها جفنه عن ناظريه

قال فعبس الشيخ وابهر وابتدر على ابنه وهر وقال له صه يا عقق
يا من هو الشجى والشرق ويلك اتعلم امك البضاع وطير الارض الارضاع
لقد تحككت العقرب بالافعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم كانه
ندم على ما فرط من فيه وجدبته المقة على تلافيه فرنا اليه
بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال ويك يا بني ان امر
بالقناعة وزجر عن الضراعة هم ارباب البضاعة واولوا المكسبة
بالصناعة فاما ذوو الضرورات فقد سوغوا المحظورات ومن ثم
جهلت هذا التاويل ولم يبلغك ما قبل الشيخ الذي عارض اباه
اذ قال وما حاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل ارض معطلة من النبات كارض حفها الشجر
فعد عما تشير الاغبيا به فاي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به الى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

فلما راى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحليه بالبسر من اهله
نظر اليه بعين غضبى وقال انهما نزة وقبا اخرى
افطن بنقض ما يقول ويلون كما يتلون الغول فقال الغلام
والذي جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد انست
مذ انست وصدقني حدسي مذ صدقت على انه ابن الباب

الفتح والعطاء السرح وهل يغني من يترع باللبن واذا استطعم
يقول هاه فقال له القاضي مه نعم الخواطي سهم صائب وما كل برق
خالب فميز البروق اذا شمت ولا تشهد الا بما علمت فلما تبين
للشيخ ان القاضي قد غضب للادعي واعظم تخجيل جميع الانام علم انه
سيستثير كامنه ويظهر اكثر ومنه فماكذب ان يصب شبكته
ويشوي في الجريق سمكته وانشا يقول

يا ايها القاضي الذي علمه وحلمه ارجح من رضوى

قد ادعى هذا على جهله ان ابني في الدنيا اخو جدوى

وما درى انك من معشر عطاوهم كالمن والسلوى

تجود بما يشبه مستخرجا مما افترى من كذب الدعوى

وانثني جذلان اثني بما اوليت من جدوى ومن علوى

قال فبش القاضي لقوله واجزل له من طوله ثم لفت وجهه الى الغلام
وقد فصل له اسهم الملام وقال له ارايت بطلان زعمك وخطا وهمك
فلا تعجل بعدها بذم ولا تنتجب عودا قبل عجم وابال وتابيك عن مطاوعة
ابيك فانك ان عذت نعقه حاق بك شي ما تستخفه فتسقط
الغني في يده ولا تذخر والده ثم نهض تخففه وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه او ضاره دهره فليقصد القاضي في صعده

سماحه ازرى بمن قبله وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى ان حرر ف

لمسيره فناجتني النفس بأن باعه ولكن آلى زماعه لعلي أظهر على أسراره
وأعرف منجم ناره فنبذت العلق وانطلقت حين انطلق ولم يزل يخطو
ويعتقب ويبعد ويقترب الى ان ترائى الشخصان وحق التعارف
على الخلصان فابدى الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب
اخاه فلا عاش فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة ولا حوا
لة واسرعت اليه لاصافحه واستعرف حالة سانحة وبارحة
فقال دونك ابن اخيك البر وتركني ومر فلم يبعد الفتى ان افتر ثم فر
كما فر فعذرت وقد استبنت عنهما ولكن اين هما

المقامة الثامنة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال حبب الي مذ سعت قدمي ونفث قلمي
ان اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت انقب
عن اخباره وخزنة اسراره فاذا الفيت منهم بغية الملتمس وجذوة
المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على اني
لم الق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب
الا انه كان اسير من المثل واسرع من القمر في النقل وكنت لهوى
ملاقاته واستحلاء مقاماته ارغب في الاغتراب واستعذب
السفر الذي هو قطعة من العذاب فلما طوحت بي الى مرو ولا غرو
بشرني بملقاه زجر الطير والفال الذي هو بريد الخير

السحب

فلم ازل انشده في المحافل وعند تلاقي القوافل فلا اجد عنه مخبرا
ولا ارى له اثرا ولا عثيرا حتى غلب الياس الطمع وانزوى التاميل
وانقمع فاني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل
والسرو اذ طلع ابو زيد في طمرين ملاق وخلق ملاق فحيا الوالي
تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال اعلم وقيت الذم
وكفيت الهم ان من عذقت به الاعمال اعلقت به الامال ومن
رفعت له الدرجات رفعت اليه الحاجات وان السعيد من اذا
قدر واتاه القدر ادى زكاة النعم كما يودي زكاة النعم والتزم
لاهل الحرم كما يلتزم للاهل والحرم وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك
وعماد عصرك ترجى الركاب الى حرمك وترجى الرغائب من كرمك
وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان
فضل الله عليك عظيما ثم اني شيخ ترب بعد الاتراب وعدم
الاعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة
امل من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة والمامول افضل
وسائل السائل ونائل النائل فاوجب لي ما يجب عليك واحسن كما
احسن الله اليك واياك ان تلوي عذارك عمن ازدارك او
تقبض راحتك عمن امتاحك وامانة لا تشاحك فوالله
ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من اذا وجد
جاد وان بدا بعائدة عاد والكريم من اذا استوهب الذهب

لم يكن لها ان يهب ثم امسك برفق اكل غرسه ويرصد مطيبه نفسه واجتنا الوالى ان يعلم هل نطفته ثم دام لفرحته مدد فاطرق يروي في استبراء زنده واستشفاف فرنده والبس على ابى زيد سر صمته وارجا صلته فوغر غضبا وانشد مقتضبا

لا تحقرن ابيت اللعن ذا ادب لان بدا خلق الشربال شثونا
ولا تضع لاخى التاميل حرمته اكان ذا لبس ام كان مسكينا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا وانعش بعونك من البيت مفتونا
فخير مال الفتى مال اشاد له ذكرا تناقله الركبان او صينا
وما على المشتري حمدا بموهبة غبن ولو كان ما اعطاه ما فوتا
لولا المروة ضاق العذر عن فطن اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا
لكنه لا بناء المجد جد ومن حب السماح تنحى نحو الغنى لبنا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم الا وازرى بنشر المسك مضنونا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على امواله علل يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى ترى مجتديك حوراك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رابعة من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر انكد من ان يستمر به حال تكرههن تلك الحال ام

فقال له الوالي بالله لقد احسنت فأيّ ولد الرجل انت فنظر اليه عن
عُرض ثم انشد وهو مغضٍ

لا تسأل المرء من أبوه ورُز خلاله ثم صِلْه أو فاصرمِ
فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرمِ

قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى احلّه مقعد الخائن ثم فرض
له من شؤبوب نيله ما آذن بطول ذيله وقِصَر ليله فنهض عنه
بُردين ملآن وقلب جذلان وتبعته حاذيا حذوه وقافيا
خطوه حتى اذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هُنّيت
بما أوتيت ومُلّيت ما أوليت فأسفر وجهه وتلألأ ووالى
شكر الله تعالى ثم خطر اختيالا وانشد ارتجالا

من يكن نال بالحماقة حظا أو سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتقيت لا بقبولي

ثم قال تعسا لمن جدب الادب وطوبى لمن جدّ فيه ودأب
ثم ودّعني وذهب وأودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون

أخبر الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر ازاري وبقل
عذاري بان اجوب البراري على ظهور المهاري لاجد طورا واسلك
غورا حتى بلغت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل

وأدمنت السنابك والمناسم وأنضيت السوابق والرواسم فلما
مللت الإصحار وقد سنح لي أرب بصحار ملت إلى أخبار السفار واختبار
الفلك السيار فنقلت إليه أساودي واستصحبت زادي ومزاودي
ثم ركبته ركوب حاذر زاد زاذر لنفسه وعاذر فلما أشرعنا
في القلعة ورفعنا الشراع للسرعة سمعنا من شاطي المرسى حين دجا
الليل وأغسى هاتفا يقول يا ذا الفلك القويم المزجى في البحر العظيم اهل صح
بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم
فقلنا له أقبس نارك أيها الدليل وأرشد كما يرشد الخليل الخليل
فقال أتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي
سوى مقيل فأجمعنا على الجنوح إليه وألا نبخل بالماعون عليه فلما
استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك ثم قال
إنا روينا في الأخبار المنقولة عن الأحبار أن الله تعالى ما أخذ على الجهال
أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا وإن معي لعوذة عن الأنبياء
مأخوذة وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني الكتمان
ولا من شيمي الحرمان فتدبروا القول وتفهموا واعملوا بما تعلمون
وعلموه صاح صيحة المباهي وقال أتدرون ما هي هي والله حرز السفر
عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم إذا جاش موج اليم
وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا من معه من الحيوان على ما
صدعت به آي القرآن ثم قرأ بعد أسطار تلاها وزخارف جلاها
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس

المعترين أو عباد الله المكرمين وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين
ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم
وأنت خير الشاهدين قال الحارث بن همام فأعجبنا بيانه البادي الطلاوة
وعجت له أصواتنا بالتلاوة وآنس قلبي من جرسه معرفة عين شمسه
فقلت له بالذي سخر البحر اللجي ألست السروجي فقال لي بلى وهل يخفى
ابن جلا فأحمدت حينئذ السفر وسفرت له عن نفسي إذ سفر ولم نزل
نسير والبحر رهو والجو صحو والزمان لهو والعيش صفو وأنا أجد
للقائه وجد المثري بعقيانه وأبتهج بمناجاته ابتهاج الغريق بنجاته إلى
أن عصفت الجنوب وعسفت الخطوب ونسي السفر ما دان وجاءهم
الموج من كل مكان فملنا لهذا الحادث الثائر إلى إحدى الجزائر لنترجح
ونستريح ريثما تتوانى الريح وتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير
اليسير فقال لي أبو زيد إنه لن يجتنى جني العود بالقعود فهل لك في
استثارة السعود بالصعود فقلت له إني لأتبع لك من ظلك وأطوع
من نعلك فنهدنا إلى الجزيرة على ضعف من المريرة لنرتكض في امتراء
الميرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا فأقبلنا نجوس
خلالها ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى قصر مشيد له باب من حديد ودونه
زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما إلى الارتقاء وأرشية للاستقاء
فألفينا كلا منهم في مسد كسير وكرب أسير فقلنا أيتها الغلمة ما هذه
الغمة فلم يجيبوا لندائنا ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار
الحباحب وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح
اللكع ومن يرجوه فابتدرت خادم قد علته كبرة وعرته عبرة

وقال يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فان الحزن شامل والشغل
عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت على
النفث فانك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب
هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا انه لم
يخل من كمه لخلوه من ولد ولم يزل يستلزم المعارس ويتخير المغارس
النفائس الى ان بشر بحمل عقيلته والاذنت زفلته بفسيله فنذرت له النذور
واحصيت الايام والشهور ولما جاء النتاج وضيع الطوق والتاج عسر
مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم
النوم الا غرارا ثم اجهش بالبكاء واعول وردد الاسترجاع وطول
فقال له ابو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر فعندي
عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم
وتسابقت منا شرين بالشفاء بلواهم فلم يلبث الا كلا ولا حتى برز من هلم
بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنك ما لديك ان صدق
مقالك ولم يقل فالك فاستحضر قلما مبريا وزبدا الحربا وزعفرانا
قد ديف في ماء ورد نظيف فما ان رجع النفس حتى احضر ما التمس فسجد
ابو زيد وعفر وسبح واستغفر ثم اخذ القلم واستجمع وكتب على
الزبد بالمزعفر ايها الجنين اني نصيح لك والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكهف حصين وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من الف مكافح ولا علوق مبين
لمن ما برزت منه تحولت الى منزل الاذى والهون
وترى كل النفاق الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون

فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة ونفل عليه ما به نفله وشد الزبد في حرقه
حتى بعد ما ضمخها بعبير وامر بتعليقها على فخذ الماخض والا تمسها
يد حائض فلم يك الا كفواق حالب او ذواق شارب حتى اندلق
شخص الولد لحصحصة الزبد بقدرة الواحد الاحد فامتلا القصر حبورا
واستطير عمده وعبيده سرورا واحاطت الجماعة بابي زيد تثني عليه
وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمريه حتى خيل الي انه الامير دبيس
او القرني اويس ثم انثال عليه من جوائز المجازاة وصلات الصلات ما قيض
له الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل يشاينه الدخل مذ نتج السخل
الى ان اعطي البحر الامان ونشي الامام الى عمان فاكتفى ابو زيد بالنحلة
وتاهبا للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تحريه بركته بل اوعز بضمه
الى حزانته وان يطلق يده في خزانته قال الحارث بن همام فلما رايته قد
مال الى حيث يكسب المال الجنت عليه بالتعنيف لمفارقة المالف والاليف
فقال اليك عني واسمع مني

لا تصبون الى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب الى كن يقيك ولو الى حضنا حضن
واربا بنفسك ان تقيم بحيث يغشاك الدرن
وجب البلاد فايها ارضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين الى السكن
واعلم بان الحر في اوطانه يلقى الغبن
كالدر في الاصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما سمعت وحبذا انت لو اتبعت فاوصيته معاذيري

سرورا

وقلت له لئن عذرتني فعذرت واعتذرت وزودني حتى لم يبق ثم شيعني
الاقارب الى ان ركبت في القارب فودعته وانا اشكو الفراق واذمه
واود لو كان هلك الحبر وامه

المقامة الاربعون

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل
والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد
الصحبة لقيت بها ابا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسالته
عن خطبه والى اين يسرب مع سربه فاومى الى امراة منهن باهرة
السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة
وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة لمطلها بحقي
وتكلفني فوق طوقي فانا منها نضو وجى وحليف شجو وشجى وها
نحن متساعيان الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا
الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب
وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان كنت لا اغني
فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاية
السواك جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله القاضي واحسن اليه
ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة الشراد مع اني اطوع لها
من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك اما علمت
ان النشوز يغضب الرب ويوجب للضرب فقالت انه ممن يدور خلف
الدار وياخذ الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك اتبذر في السباخ
وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب عني لا نعم عوفك ولا امن

خوفك فقال ابو زيد انها ومرسل الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو
ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لاكذب من ابي ثمامة حين مخرق
باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار اتعمدين في
الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت اني حين بنيت عليك
ورنوت اليك الفيتك اقبح من قرده وايبس من قده واخشن من ليفه
وانتن من جيفة واثقل من هيضه واقذر من حيضه وابرز من قشره
وابرد من قره واحمق من رجله واوسع من دجله فسترت عوارك
ولم ابد عارك على انه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس
بعرشها وبوران بفرشها والزبا بملكها ورابعة بنسكها وخندف
بفخرها والخنسا بشعرها في صخرها لانفت ان تكوني قعيدة رحلي
وطروقة فحلي قال فتذمرت المراة وتنمرت وحسرت عن ساعدها
وشمرت وقالت له يا الأم من مادر واشام من قاشر واجبن من صافر
واطيش من طامر اترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك وانت تعلم انك
احقر من قلامه واعيب من بغلة ابي دلامه وافضح من حبقه في حلقه
واحير من بقة في حقة وهبك الحسن البصري في لفظه ووعظه وعامر
الشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجريرا في غزله
وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته وعبد الحميد في بلاغته وكتابته
وابا عمرو في قراءته واعرابه والاصمعي في روايته عن اعرابه اتظنني ارضاك
اماما لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي ولا عصا لجرابي

فقال لهما القاضي اراكما شنا وطبقه وحداه وبندقه فاترك ايها
الرجل اللدد واسلك في سيرك الجدد واما انت فكفي عن سبابه
وقري اذا اتى البيت من بابه فقالت المراة والله ما يسجن عنه لساني
الا اذا كساني ولا ارفع له شراعي دون ان يشبعني فحلف ابو زيد
بالمحرجات الثلاث انه لا يملك سوى اطماره الرثاث فنظر القاضي في
قصتيهما نظر الالمعي واوكر فكرة اللوذعي ثم اقبل عليهما بوجه
قد قطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما التسافه في مجلس الحكم
والاقدام على هذا الجرم حتى ترافعتما من خبث المخادعة الى خبث
المخادعة وايم الله لقد اخطات استكما الحفرة ولم يصب سهمكما
الثغرة فان امير المؤمنين اعز الله بقايه نصبني لاقضي بين
الخصماء لا لاقضي دين الغرماء وحق نعمته التي احلتني هذا المحل
وملكتني العقد والحل لئن لم تبينا لي جلية خطبكما وخبية خبكما
لانددن بكما في الامصار ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق
ابو زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي
وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافي انسها وانسي
ولا تنائى ديرها عن نفسي
ولا عدت سقياها ارض غرسي
لكننا منذ ليال خمس

نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى دعانا لخفوق النفس ... اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي ... وشفنا الضر الاليم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس ... هذا المقام واجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي ... الى التحلي في لباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي ... فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بجبري ان تشا او حبسي ... ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي لينبت انسك ولتطب نفسك فقد حق لك ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا اهل تبريز لكم حاكم ... اوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انه ... يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى ... عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ... جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني اخيب من شائم ... برقا خفا في شهر تموزا
كانه لم يدر اني التي ... لقنت الشيخ الاراجيزا
وانني ان شئت غادرته ... اضحوكة في اهل تبريزا

فلما راى القاضي اجتراءهما وانصلات لسانهما علم انه قد

مُنِيَ منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وانه متى منح احدهما الزجر
وصرف الاخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين وصلى المغرب لغير
وطلسم وطرسم واخرنطم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشأمة
وتململ كآبة وندامة واخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه
ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس كما تنفس الحريب
وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا لشيء عجيب أأنشب
في موقفٍ لسمجين أُلزم في قضيته مغرمين اطيق ان أرضي
الخصمين ومن اين ومن اين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لمآربه
وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء هذا يوم الاغتمام
هذا يوم الاغترام هذا يوم الحرمان هذا يوم الخسران هذا
يوم عصيب هذا يوم يصاب فيه ولا يصيب فأرحني من هذين
المهذارين واقطع لسانيهما بدينارين ثم فرق الاصحاب واغلق الباب
واشع انه يوم مذموم وان القاضي فيه مهموم لئلا يحضرني خصوم
قال فأمن الحاجب على دعائه وبكى لبكائه ثم نقد ابا زيد
وعرسه المثقالين وقال اشهد انكما لاحيل الثقلين لكن احترما
مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاضٍ قاضي تبريز
ولا كل وقت تسمع الاراجيز فقالا له مثلك من حجب وسلك
فودعا ونهضا وقد حظيا بدينارين واصليا قلب القاضي نار بين

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الالفاظ
اللغوية والامثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الامر الذي
تزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق ٭ وقوله جعلته دبر
اذني يعني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم ٭ وقوله اكذب
من سجاح يعني التي شأن في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره
وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر
مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة
وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فاسجح وقولها اكذب من ابي ثمامة
هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان متنبئا باليمامة ومخرق بها الى ان
سار اليه خالد بن الوليد وقتله وقوله لا نعم عوفك العوف الحال
والعوف ايضا الذكر ويدعى للباني على اهله فيقال له نعم عوفك
وقوله يا دفار يا فجار هذان الاسمان معدولان عن دفرة وفاجرة
والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر وكل ما سمي بصفة
غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا
لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في
غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر

اطوف ما اطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع

واما قوله احمق من رجلة هي ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل
فيحطمها ٭ واما قولها الأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر
كان اتخذ حوضا ليسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه
لئلا ينتفع به من بعده ٭ واما قولها اشأم من قاشر فانه فحل

كان في بعض قبايل سعد بن زيد مناة فاطرق ابلا الا امانت وقيل المراد به
الغام المجدب وسمي قاشر لقشره وجه الارض من النبات ه
واما قولها اجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به
كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو
ومصايد الارض ه وقيل انه طاير بعينه اذا جنه الليل تعلق
ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طوال ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ ه
وقيل انه الذي يصفر بالمراه لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة ان
يظهر على الغره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو
الذي ينذر بالصفير فعلى هذا القول فاعل هاهنا بمعنى مفعول
كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راحله بمعنى مرحوله
واما قولها اطيش من طامر فالمراد به البرغوث وسمي طامر بن طامر
لكثره وثوبه ه واما قول القاضي ان اكما شنا وطبقه وحداه
وبندقه فانه اراد به ان كلا منهما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل
من المثلين تفسير مختلف فيه اما شن وطبقه فان العلما مختلفون في
معنى قولهم وافق شن طبقه فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو
ابن افصى بن دعمي بن جديله بن اسد بن ربيعه بن نزار وطبقه حي من اياد
وكانت طبقه لا تطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها ه
وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه
الا يتزوج الا بامراه تلايمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه
رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما السير قال له شن اتحملني ام

احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب فامسك وسارا
حتى اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع أُكل ام لا فقال يا جاهل
اما تراه في سنبله فامسك الى ان استقبلهما جنازه فقال له شن اترى
صاحبها حيا فقال له ما رايت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر
حيا ثم انهما وصلا الى قريه الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت
تسمى طبقه فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب
ولا استفهمك الا عما يستفهم عن مثله اما قوله احملني ام احملك
فانه اراد اتحدثني ام احدثك حتى نقطع بالحديث الطريق واما قوله اترى
هذا الزرع قد اكل فانه اراد هل استلفه اهله ثمنه
واما استفهامه عن حيوه صاحب الجنازه فانه اراد به اخلف عقبا
يحيا ذكره به ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه
فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا ما فيها من
الدهاء والفطنه قالوا وافق شن طبقه فسارت مثلا
وحكي ان الاصمعي سيل عن تفسير هذا المثل فقال اظن الشن وعا
من ادم كان قد استشن فلما اتخذ له غطا وافقه ضرب فيه هذا
المثل واما حذاه وبندقه فانه يقال في المثل المضروب لمن
يفزع لعدوه او يلي بنظيره حذا حذا وراك بندقه وكان الاصل
حذاه باثبات الها فرخم في الندا وقد اختلف في المراد بهما فقيل هما
الطاير المعروف وبندقه الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيره
فاغارت حذاه وكانت تنزل بالكوفه على بندقه وكانت تنزل

باليمن قالت منهم ثم حركت سرفته على جداه فانحت عليهم ۞ وروى بعضهم هذا المثل حدا أحدا أغير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة ۞ وأما قوله أخطأت استه الحفرة فإنه مثل يضرب لمن يخطي في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه ۞ وأما قوله طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله اخرنطم وبرطم أي غضب وقطب ۞ وقيل معنى اخرنطم أي غضب مع تكبر ومعنى برطم أي غضب مع تعبس ۞ وقوله همهم وغمغم أي لم يبن الكلام ۞

المقامة الحادية والأربعون

أخبر الحرث بن همام قال طاعت دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم أزل زيرا للغيد وأذنا للأغاريد إلى أن وافى النذير وولى العيش النضير فقرمت إلى رشد الاشباه وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم أخذت في سد الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات إلى ملاقاة التقاة وعن مغاناة القيان إلى مداناة أهل الديانات وآليت أن لا أصحب إلا من نزع عن الغي وفاء منشره إلى الطي وإن ألفيت من هو خليع الرسن ملابس الوسن نأيت داري عن داره ۞ وفررت من عره وعراره فلما ألقتني الغربة بتنيس وأحلتني مسجدها الأنيس رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش متين ولسان مبين مسكين ابن آدم وأي مسكين ركن من الدنيا إلى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها

لاخرته اقسم بمن مرج البحرين و نور القمرين و رفع قدر الحجرين لو عقل ابن ادم لما نادم و لو افلا فيما قدم لبكى الدم و لود لو المحافاة لاستدرك ما فات و لو نظر في المال الحسن قبح الاعمال باعجبا دلا العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اثار الذهب و الحرن لذوى السبب من ابدع العجب ان يعظك وخط المشيب و يؤذن شمسك بالمغيب و لست ترى ان تنيب و تهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه وهو على غي الصبى منكمش

يعشو الى نار الهوى بعد ما اصبح من ضعف القوى يرتعش

و يمتطي اللهو و يعتده اوطأ ما يفترش المفترش

لم يهب الشيب الذي ما راى نجومه ذو اللب الا دهش

ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقا له وان يعش فهو كمن لم يعش

لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش

وحبذا من عرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش

فقل لمن قد شاقه دنيه هلا ت بامسكين اوشك فقش

فاخلص التوبة نطمش بها من الحطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضى و دار من طاش و لم يطش

و رش جناح الحر ان حصه زمانه لا دار من لم يرش

وانجد الموتور ظالما فان عجزت عن الجادة فاستجش

وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر به تنعش

وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

قال فلما فرغ من مجاناته وقضى انشاد ابياته نهض صبي قد شدن
واعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات الى الوصاة قد
وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل وان يصلح
المستقبل فليبر عن نيته ولا يعدل عن عطيته فوالذي يعلم
الاسرار ويغفر الاصرار ان سري لكما ترون وان وجهي ليستوجب
الصون فاعينوني رزقتم العون قال واخذ الشيخ فيما يعطف
عليه القلوب ويسني له المطلوب حتى انبط جمه واعشوشب قفه
فلما ان ترع الكيس اتصلت همس وحمد نفس ولم يحل الشيخ المقام
بعد ما انصلت الغلام فاسترفع الايدي للدعا ثم نجا نجو الانكفاء
قال الراوي فارتحت الى ان اعجمه واحل مترجمه فتبعته وهو
يستند في سمته ولا يفتق رتق صمته فلما امن المفاجي وامكن
التناجي لفت جيده الي وسلم تسليم البشاشة علي ثم قال اراقك
ذكا ذاك الشويدن فقلت اي والمومن المهيمن قال انه فتى السروجي
ومخرج الدر من اللجي فقلت اشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شرارته
فصدق كهانتي واستحسن ابانتي ثم قال هل لك في ابتدار البيت
لنتنازع كاس الكميت فقلت له ويحك اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم

فاقتر افترار متضاحك ومرّ غير مماحك ثم بدا له ان تراجع اليّ فقال
احفظها عنّي وعلّي

اِصْرِفْ بصرف الراح عنك الاسى ... وروّح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به ... تدفع عنك الهمّ قدك اتئب

ثم قال اما انا فسانطلق الى حيث اصطبح واغتبق واذا شئت لا
يصحب ولا بدّ من يطرب فليس لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخلّ
سبيلي ونكّب ولا تنقّر عنّي ولا تنقّب ثم ولّى مدبرا ولم يعقّب
قال الحرث بن همام فالتمست وجرا عند انطلاقه ووددت لو لم الاقه

المقامة الثانية والاربعون

حكى الحرث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى الى
ان صرت ابن كل تربة واخا كل غربة الا اني لم اكن اقطع واديا ولا
اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلي عن الاشجان المغلي قيمة الانسان
حتى عرفت لي هذه الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة وصارت
اعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل ابي صفرة فلما القيت
الجران بنجران واصطفيت بها الخلان والجيران جعلت انديتها
معتمري وموسم تفكهي وسمري فكنت اتعهدها صباح مساء
واظهر فيها على ما سرّ وساء فبينا انا في نادٍ محشود ومحفل
مشهود اذ جثم لدينا همّ عليه هدم فحيّا تحية ملق بلسان ذلق
ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد بيّن الصبح لذي عينين

وناب العيان مناب عدلين فماذا ترون فيما ترون أتحسنون العون
أم تشنأون إذ تدعون فقالوا إنا لله لقد غطيت وزمنا أن نبط
فغضت فناشدتهم الله عماذا أصدهم حتى استوجب ردهم فقالوا
إنا ننتاضل بالإلغاز كما يتناضل يوم البراز فما لك إن شئت
من المنصول والحق هذا الفضل بنمط الفضول فلسنه لسن القوم
ووخزوه بأسنة اللوم وأخذ لو يتنصل من هفوته ويتندم على
فوهته وهم مصبون على مؤاخذته وملبون دواعي منابذته إلى أن
قال لهم يا قوم إن الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع
ثم هلم إلى أن نلغز ونحلم المبرز فسلس عند ذلك تمردهم وانحلت
عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم وأفرجوا أن يكون أولهم فأمسك
ريثما تعقد تسع أو تنشد تسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش
وهنيتم العيش وأنشد ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ... ولكن على إثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها ... على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو إذا ولى المصيف محولها

ثم قال وهاكم يا أولي الفضل ومرائر العقل وأنشد ملغزا في حابول النخل

ومنتسب إلى أم تنسنا أصله منها
يعانقها وقد كانت نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني ولا يلحى ولا ينهى

ثم قال ودونكم الحقيبة العلم المعرسة الظلم وأنشد ملغزا في القلم

وهنيتم

وَمَا مومٍ بهِ عُرِفَ الامامُ كما بَاهت بصحبته الكِرامُ

له اذ يرتدي طيلسانَ صادٍ وَيسلخ حين يعروه الاوامُ

وَيُذري حين يستسقي دموعًا يُرقرقها كما يرقى الابتسامُ

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا في الميل

وَمَا ناكحٍ اختين جهرًا وَخُفيه وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه وان مال بعل لم تجده يميل

يزيدهما عند المشيب تعهدا وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب معيارٌ للاداب وانشد مُلغزا في الدولاب

وَجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ ليس بالجافي

غريق بارز فاعجب له من راسبٍ طاف

يسح دموع مهضوم وَيهضم هضم متلاف

وتخشى منه حدته وَلكن قلبه صافٍ

قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رائكم وضم الذيل او الان دنا دم الجل قال فاستقرت القوم سمتهُ الزياده على ما اثبتوا من البلاده فقالوا له ان وقوفنا دون جدك ليحملنا عن استبراك وتبدك فان اتممت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وَاخزل خصمه ثم افتتح النطق بالتسميه وانشد ملغزا في الململه

وَمسرورة مغمومة طول دهرها وَمَا هي تدري ما السرور ولا الغم

تقرّب احيانا لاجل جنينها وكم ولد لولاه طلّقت الامّ منهم

وتبعد احيانا وما حال عهدها وابعاد من لم يستحل عهده به

اذا قصر الليل استلذّ وصالها وان طال فالاعراض عن وصلها نعم

لها ملبس بادٍ انيق مبطّن بها يزدرى لا لما يزدرى الحكم

ثم كشر عن انيابه الصفر وانشد ملغزا في الظفر

ومرهوب الشبا نام وما يرعى ولا يشرب

يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم تحازر تحازر العفريت وانشد ملغزا في طاقه الكبريت

وما محقوره تُدنى وتُقصى وما منها اذا افكرت بُدّ

لها راسان مشتبهان جدا وكل منهما للاخبه ضد

تعذّب ان هما خضبا وتلغى اذا عدما الخضاب ولا تعد

الخضاب

ثم خمط خمط الفرم وانشد ملغزا في حلب الكرم

وما شى اذا فسد الحول غبّه تسدّدا

وان هو راق اوصافا اثار الشر حيث بدا

زكي العرق والده ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطبار

وذي طيشه شقّه مايل وما عابه بهما عاقل

يرى ابدا فوق علّيه كما يعتلي الملك العادل

تساوى لديه الحصا والنضار وما يستوى الحق والباطل

واعجب اوصافه ان نظرت تما بنظر الكيس الفاضل

قال فظلت الافكار في تهيم بي اودية الافهام وتجول جولان المستهام الى
ان طال الامد وحصحص الكمد فلما رايتهم يتذرون ولا يسنون ويقصون النهار
بالمنى قال يا قوم الامر ستظلون وحتام تنتظرون الربان لكم استخراج
الخبي واي يتسلع الغبي فقالوا له تالله لقد اعوصت ونصبنا لشرك
فاقنصت فتحكم كيف شئت وخذ الغنم والصيت ففرض عن كل معمى
فرضا واستخلصه منهم نضا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول
الاجفال فاعتلقوا به مدرة القوم وقال لا ليتسنه بعد اليوم فاستنشئت
قبل الانطلاق وهيهات منعه الطلاق فاطرق ثم لما رايتهم انشد
والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي   واعتضت منها اغترابا امر يومي وامسي
ما لي مقر بارض ولا قرار لعنسي   يوما بنجد ويوما بالشام اضحي وامسي
ازجي الزمان بقوت منغص مستخس   ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي باع الحياة ببخس

ثم اراه اختص خلاصة النص وبدر صارا في الارض فناشدناه ان يعود
واسنينا له الوعود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب له نجع

المقامة الثالثة والاربعون

اخبر الحرث بن همام قال هفا بي لبن المطوح والسير المبرح الى ارض
يضل بها الخريت ويفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحاير الوحيد
ورايت ما كنت منه احيد الا اني شجعت قلبي المزوود ونسات
نضوي المجهود وسرت سير الضارب بقدحين المستسلم للحين

ولم ازل بين وخد وذميل واجارة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس
تجب والضياء يحتجب فارتعت لاظلال الظلام واقتحام جيش حام
ولم ادر ااكفت الذيل وانشط ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا
اقلب العزم وامحض الحزم تراءى لي شبح جمل مستنذر بجبل فرجيته
بعده مريح وقصدته قصد منيح واذا الظن كهانة والركوب عيرانة
والمنيخ قد ازدمل بجاده وانجدل برقاده فجلست عند راسه حتى هب
من نعاسه فلما ازدهر سراجاه واحس من فاجاه نفر جماح نفر المريب
وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاضئ لي اورح
لك فقال ليسر عنك همك فرب اخ لم تلده امك فاسرى عند ذلك
اشفاقي وسرى لو سري الى ماقي وقال عند الصباح يحمد القوم السرى
فهل ترى ما ارى فقلت انى لك لاطوع من حذائك واوفق من غذائك
فصدع بمدحي ونحج بصحبتي ثم اجمعنا مجدين وارتحلنا مدلجين
ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ الليل غايته ورفع الفجر
رايته فلما السفر الفاضح ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتي
وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا
تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثنا الاخبار
وتعبيري تخبط في الكلال وراحلته ترف رفيف الرال
فاعجبني اشتداد اسرها وامتداد صبرها واخذت استشف جوهرها
واسله من اين تخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة
مليح السياقة فان احببت استماعه فانخه وان لم تشأ فلا تضح
فانخت لقوله نضوي واهدفت السمع لما يروي فقال اعلم اني

استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت فما زلت اجوب عليها
البلدان واطس بها الظراب الى ان وجدتها غير اسفار وعدة فرار
لا يلحقها العيار ولا تواهقها وجناء ولا تدري ما الهناء فارصدتها للخير
والشر واحللتها محل البر السير واتفق انها ندت منذ مدة وما لي سواها من
بعده فاستشعرت لها الاسف واستشرفت التلف ونسيت كل رزء سلف
ومكثت ثلثا لا استطيع ابغاء ولا اطعم الا النوم الا احيانا ثم اخذت في
استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك وانا لا استبين منها نجا
ولا استغني ياسا مريحا وكلما ادكرت مضاءها في السير وانها المبارأة
الطير لا اعنى الادكار واستشعر الافكار فبينما انا في حو بعض الاحياء
اذ سمعت من شخص متبعد وصوت متجرد من ضلت له مطية
حضرمية وطيه جلدها قد وسم وعرها قد جسم وزمامها قد ضفر
وظهرها كان كسر ثم جبر ين الماشية وتغتزل الناشية وتقطع
المسافة النائية وتطل ابدا الكد مدانية لا يعنوها الونا ولا يعترضها
الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصى فيم عصا قال ابو زيد فجذبني الصوت
الى الصايت وبشرني بدرك الفايت فلما افضيت اليه وسلمت عليه
قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال ما مطيتك غفر لك
خطيتك قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها مل
العلبة ولقد اعطيت بها عشرين اذ حللت بيبرين فاستزدت
الذي اعطى ودريت انه اخطا قال فاعرض حين سمع صفتي وقال لست
بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه واصررت على تكذيبه وهممت
بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيتي بطلبتك فاقصر من

عزبك وعدّ عن سبيلك والا فقاضني الى حَكَم هذا الحيّ البريّ من الغيّ
فان اوجبها لك فسلّم وان زواها عنك فلا تتكلّم فلم ار دوا فضّني
ولا مساغ غصّتي الا الى الحَكَم وكولكم فانخرطنا الى شيخ ركين
البنية ابن وكيع العصبة يونس منه سكون الطاير وان لبس بالجاير فاندرأت
اتظلّم وصاحبي مرزّم لا يترمرم حتى اذا انسلّت هنانيّ وقشع الفهص
لبانيّ ابرز نعلا زرينة الوزن محذوة لمسلك الحزن وقال هذه التي
عرفت واباها وصفت فان كانت هي التي اعطي بها عشرين وناهو من
المبصرين فقد كذب في دعواه وكبّر ما افتراه اللهم الا ان يمدّ قذاله
وتبين مصداق ما قاله فقال الحكم اللهم غفرا وجعل يقلّب النعل
بطنا وظهرا ثم قال اما هذه النعل فنعلي واما مطبسك ففي رحلي
فانهض لتسلّم ناقتك وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت

اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم   والطايفين العاكفين في الحرم
انك نعم المرء يا حكم   وخير قاض في الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فاجاب من غير رويّه ولا عقد نيّه وقال

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم   اذ لست استوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استقضى ظلم   ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فذاك والكلب سواء في القيم

ثم انه تقدم من يدي من سلّم الناقة اليّ ولم يمنّ علي فرجعت جاذل
الطرب واقول يا للعجب قال الحرث بن همام فقلت له بالله لقد
اطرفت وما عرفت كما عرفت فنشدتك الله هل لقيت اسحر منك بلاغة

واحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاستمع وانعم لست عرفت حين ايتمنت
على ان اتخذ ظعينه لتكون لي معينه فحين بعثني الخطب وداد الامر
بسنتين افكر فكر المتحرز من الوهم المتامل لكيف مسقط السهم وبت
ليلتي اناجي القلب المعذب واقلب العزم المذبذب الى ان اجمعت على
ان اسحر واشاور اول من ابصر فلما قوض الظلام اطنابه وولت الشهب
اذنابها غدوت غدو المتعرف وابتدرت ابتدار المتعيف فابرز لي
يافع في وجهه شافع فتيمنت بمنظره البهيج واستفتحت رايه
في التزويج فقال او تبغيها عوانا ام بكرا تعانى فقلت اختر لي ما ترى
فقد القيت اليك العرى فقال الي التبيين وعليك التعيين فاسمع انا افديك بعد
دون امن اعاديك اما البكر فالدره المخزونه والبيضه المكنونه والثمره
الباكوره والسلافه المذخوره والروضه الانف والطوق الذي ثمن
وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا
اوشها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي واللسان العيي والقلب
النقي ثم هي الدميه الملاعبه واللعبه المداعبه والغزاله المغازله
والملحه الكامله والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب
واما الثيب فالمطيه المذلله واللهنه المعجله والبغيه المسهله والطبه
المعلله والقرينه المتحببه والخليله المتقربه والصناع المدبره والفطنه
المختبره ثم انها عجاله الراكب وانشوطه الخاطب فيلينه وخدمها
مرتبه واقسم لقد صدقت في النعتين واجليت المتعاليين فبايهما هام
قلبك وعلى ايهما فاء لبك قال ابو زيد فرايته جندله تقبعها المراجم
وتندمي منها المحاجم الا انني قلت له كنت سمعت ان البكر اشد حبا

واقل خيبا فقال قد لعمري قبل هذا ولكن كم تقول اذا ويحك اما هي المهرة
الابية العنان والمطية ابطية الاذعان والزندة المتعسرة الاقداح والقلعة
المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها
صلفة وذا انها مكلفة ويدها حرقا وقلبها صماء وعن بكيها خشنا
وليلها ليلا وفي رياضها عناء وعلى خبرتها غشاء وطالما اخرقت المنازل
وفركت المغازل واحقت الهازل واضرعت الفنيق البازل ثم انها
التي تقول انا البشر واجلس فاطلب من تطلق وتجلس فقلت له فما ترى
في الثيب يا ابا الطيب فقال ويحك اترغب في فضالة المآكل وخثارة
المنهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل والدواة المطروقة
والخراجة المنصرفة والوقاح المتسلطة والمحكرة المستحطة ثم
كلمتها كنت وصرت وطالما بغي علي فنصرت وشتان بين اليوم وامس
واين القمر من الشمس وان كانت الحنانة او البروك او الطماحة الهلوك
فهي الغل القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له فهل ترى ان اترهب
واسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار المودب عند زلة المتادب ثم
قال ويلك اتقتدي بالرهبان والحق قد استبان اف لك ولوهن رايك
وتبا لك ولاولئك اتراك ما سمعت بان لا رهبانية في الاسلام ولا اخلقت
بما نحى نبيك عليه السلام ثم قال اما تعلم ان المراة القرينة الصالحة
ترب بيتك وتلبي صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك وبها ترى
قرة عينك وريحانة انفك وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعد له
يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتاهلين
وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك
ما سمعت من فيك ثم اعرض اعراض المغضب وترا ترو ان

متنمرا

العُنْظُب فقلت له قاتلك الله اتطلع متنمرا وتدعي مخبتا افقال
اطنك تدعي الخبرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له قبح الله
ظنك ولا اشتد قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وبت من مساورة
الصبيان قال الحرث بن همام فقلت له اقسم بمن انبت الايك
ان الجدل منك واليك فاعرب في الضحك طربه المنهمك ثم قال العق
العسل ولا تسل فاحرف اسهب في مدح الادب وافضل رتبه
على ذي النسب وهو ينظر الي نظر المتجهل ويغضي عني اغضا المتمهل
فلما استرفت قال لي صه واسمع مني وافقه

يقولون ان جمال الفتى ونبته اديب راسخ
وما ان تزين سوى المكثرين ومن طود سودده شامخ
فاما الفقير فخير له من الادب القرص والكامخ
واي جمال له ان يقال اديب يعلم او ناسخ

ثم قال سيتضح لك صدق لهجتي واستناره حجتي وسرنا لا نالوا جهدا
ولا نستبقي جهدا حتى اذا انا السير الى قريه عزبت عنها الخير فدخلناها
للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما ان بلغنا المحط والمناخ المختط
لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه ابو زيد
تحيه المسلم وساله وقفه المتفهم فقال وعم تسال وفقك الله
قال ايباع هاهنا الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح
بالملح قال كلا والله قال ولا التمر بالسمر والهبهات والله
قال ولا العصيده بالقصيده قال اسكت عافاك الله قال ولا الثرايد

بالفرايد قال ابن تذهب بك ارشدك الله قال ولا لدفين بالمعنى لدقمو
قال عد عن هذا اضحلك الله واستحالى ابو زيد يراجع السوال والجواب
والنكايل من هذا الجراب ولج الغلام ان الشوط بطين والشيخ
شو بطين فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك واستبنت
انك تحذ الجواب صبره واثق به خبره اما بهذا المكان فلا يشتري
الشعر بشعيره ولا النثر بنثاره ولا القصص بقصاصه ولا الرساله
بغساله ولا حكم لقمان بلقمه ولا اخبار الملاحم بلحمه
واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح اذا صيغ له المدح ولا من
تجير اذا انشد الاراجيز ولا من يغيث الا اطنبه الحديث
ولا من يمير ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب
ان لم تجد الربع ديمه لم يكن له قيمه ولا دانته بهيمه وكذلك
الادب ان لم يعضده نشب فلبشه نصب وحربه حصب
ثم انهم نددوا بعدوا وولى تحدوا فقال لى ابو زيد اعلمت ان الادب
بار وولت انصاره الادبار فبوت له بحسن البصيره وسلمت بحكم
الضروره فقال دعنا الان من المصاع وخض في حديث القصاع
واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق
ويطفي الحرق وقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال ارى ان
ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه وافرم لا تغفل
اليك بما تلتهم فاحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما
لبث ان ركب الناقه ورفض الصدق والصداقه فمكثت مليا ارتقبه
ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع في الصيف ولم الفه ولا السيف ضيع اللبن

المقامة الرابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحربا والعنز الجربا فلم ازل انضي عنسي واقول طوبى لك ولنفسي الى ان تبصر الموقد آلي وتبين ان قالي بالجذل عدوا الجمزى وتشد مرتجلا

حييت من خابط ليل سار	هداه بل اهداه ضوء النار
الي رحيب الباع رحب الدار	مرحب بالطارق الممار
ترتاح جعد الكف بالدينار	ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى بحار	اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانوا بالامطار	فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار	لم يخل في ليل ولا نهار

من نحر زوار وقدح وار

ثم تلقاني محييا وصافحني براحة اريحي وافادني الى بيت عشاره تخور واعشاره تفور وولايده تمور وموايده تدور وباكساره اضياف قد جلبهم جالبي وقلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتا ويمرحون مرح ذوي الفتاء فاخذت باحتذائهم في الاصطلا ووجدت بهم وجد النحل بالطلا ولما ان سرى الخصر وانسرى الحصر اتينا بموايد كالهالات دورا والرياض نورا وقد شحنت باطعمة الولايم وحميت من المعايب واللوايم فقضينا ما قضى البطنة وراينا الامعان فيها من الفطنة

انضي

عد

حتى اذا الممنا بصاع الحطم واشفينا على خطر النسم تعاورنا مشوش الغم ثم
تبوانا مقاعد السمر واخذ كل منا يتسوك بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا
شيخا منتبذا فوداه مخلولقا برداه فانه ربض حجرة واوسعنا هجرة
فغاظنا حنيه الملبس موجبه المعذور فيه مومنه الا آنا النا له القول
وخشينا في المسله العول وكلما رمنا ان نفيض كما افضنا او نقيض فيما
افضنا اعرض اعراض العليه عن الارذلين وتلا ان هذا الا اساطير الاولين
ثم ان الحميه هاجته والنفس الابيه ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف
وبدل ان تلافى ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال
عندي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني ابا العجب
رايت يا قوم اقواما غذاوهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب
بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسما الخمر
ومستنين من الاعراب قوتهم ان يستوا واخرقة تغني عن الشعب
الخرقه القطعه من الجراد
وكاتبين وما خطت اناملهم حرفا ولا قراوا ما خط في الكتب
الكاتبون الخرازون بها الكتب السقا والمزاده اذا خرزتها
وناعبين عقابا في مسيرهم على تكمشهم في البحر واللبب
العقاب الرايه وكانت رايه النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب
وكمسبين ذوي نبل بدت لهم نبيله فانثنوا منها الى الهرب
النبيله الجيفه ومنه نبل البعير اذا مات واروح
وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت جنيا بلا شك على الركب
معنى حجت حنيا اي غلبت بالحجه مجادلين جاثين على الركب
وجثى جمع جاث

وَنِسْوَةً بينما ادلجن من حَلَبٍ صبّحن كاظمةً من غَبْرٍ مَا نَعَب

كاظمه في هذا الموضع كاظمه الغيظ

وَمُدلجين سروا من ارض كاظمه واصبحوا حين لاح الصبح في حَلب

اى اصبحوا يحلبون اللبن

معاد وَقادرين متى ما شاء صُبَّ لهم او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

وَيافعًا لم يلامس قط غانيةً شاهدته وَله نسلٌ من العقب

النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب موخر القدم

وَشايبًا غير محتفٍ للمشيب بدا في البدو وَهو فتي السن لم يشب

الشايب هاهنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج بماء مشوب ومشيب

وَمُرضعًا بلبان لم يذقه فمه ذابته في شجار بين السبب

الشجار المحفه ما لم يكن مظلله فان ظللت فهي الهودج

والسبب هاهنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

وَزائرًا عاذره حتى اذ حصلت صارت غبيرًا بهواها اخو الطرب

الغبيرا المسكر المتخذ من الذره وفي الحديث اياكم والغبيرا فانها خمر العالم وتسمى ايضا السكركه

وَزانيًا وهو مغلول على فرس قد غل ايضًا وما ينفك من خبب

المغلول هاهنا العطشان وغل اى عطش هو

وقال الكندى المحفوظ فى الحديث خمر الاعاجم لا غبيرا

وَذَا بِدٍ طُلُقٍ يَقتَاد رَاحِلَةً مُسْتَعجِلًا وَهُوَ مَا سُوْرٌ أَخُو كُرَبِ

المَاسُوْرُ الَّذِي يَجِدُ الاُسْرَ وَهُوَ احتِبَاسُ البَول

وَجَالِسًا مَاشِيًا يَهوِي مَطِيّتُهُ وَمَا فِي الَّذِي اوْرَدتُ مِن رِيَبِ

الجَالِسُ الآتِي نَجْدًا وَالمَاشِي الَّذِي كَثُرَ مَاشِيَتُهُ

وَعَلَيهِ فَسّر بَعضُهُم قَولَهُ تَعَالَى اَنِ امْشُوا دَانَّهُ دُعَاءٌ لَهُم بِالنَّمَاءِ وَالكَثْرَةِ

وَجَابِذًا الجِذْمَ الكَفَّينِ ذَا خَرَسٍ فَإِن عَجِبتُم فَكَم فِي الخَلقِ مِن عَجَبِ

الجَابِذُ هَا هُنَا الَّذِي اِذَا مَشَى حَرَّكَ مَنكِبَيْهِ وَفَحَجَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ

وَذَا اشْتِطَاطٍ كَصَدرِ الرُّمحِ قَامَتُهُ صَادَفتُهُ بِمِنًى يَشكُو مِنَ الحَدَبِ

الحَدَبُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرضِ

وَسَاعِيًا فِي مَسَرَّاتِ الأَنَامِ تَرَى أَفرَاحَهُم مَا نَمَا كَالظُّلمِ وَالكَذِبِ

إِفرَاحُهُم اِثقَالُهُم وَمِنهُ قَولُهُ عَلَيهِ السَّلَامُ لَا يُترَكُ فِي الإِسلَامِ مُفْرَحٌ

وَمُغرَمًا بِمُنَاجَاةِ الرِّجَالِ لَهُ وَمَا لَهُ فِي حَدِيثِ الخَلقِ مِن أَرَبِ

الخَلقُ هَا هُنَا الكَذِبُ وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى اِن هَذَا اِلَّا خُلُقُ الأَوَّلِين

وَذَا ذِمَامٍ وَفَت بِالعَهدِ ذِمَّتُهُ وَلَا ذِمَامَ لَهُ فِي مَذهَبِ العَرَبِ

الذِّمَامُ الثَّانِي جَمعُ ذِمَّةٍ وَهِيَ البِئرُ القَلِيلَةُ المَاءِ وَعَنَى

بِالمَذهَبِ المَسلَكَ اَي مَا لَهُ آبَارٌ قَلِيلَةُ المَاءِ بِالبَادِيَةِ

وَذَا قُوًى مَا اسْتَبَانَت قَطُّ لِينَتُهُ وَلِينُهُ مُسْتَبِينٌ غَيرُ مُحتَجِبِ

اللِّينُ النَّخلُ الدَّوَالُ وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى مَا قَطَعتُم مِن لِينَةٍ

وَسَاجِدًا فَوقَ فَحْلٍ غَيرُ مُكتَرِثٍ بِمَا أَتَى بَل يَرَاهُ أَفضَلَ القُرَبِ

الفَحلُ الحَصِيرَةُ المُتَّخَذُ مِن فُحَّالِ النَّخلِ

وَعَاذِرٍ لِامْرِئٍ مِن ظُلمِهِ يَعذِرُهُ مَعَ اللُّطفِ وَالمَعذُورُ فِي صَخَبِ

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقرية دون أفحوص القطا سُحبت بدهلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والدبلم النمل الكثير

وكوكبا سواري عنده وبينه الانسان حتى يرى في امنع الحجب

اللوب النكتة البياض التي تحدث في العين

والانسان هاهنا انسان العين

وروثة قومت مالا له خطر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الانف

وصحفة من نضار خالص شربت بعد المحاسن بقيراط من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع ويقول بعض الباعة لا باس

بان تشرب في قدح النضار عنيه هذا

ومستجيشا الخشخاش ليدفع ما اظله من اعاديه فلم تجب

الخشخاش الجماعة عليهم دروع واسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الاقط

وكم رأى ناظري فيلا على جمل وقد نور كفوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفايل الراي

وكم لقيت تعرض البيد مستنبعا وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشنلي المتخذ سنكوة وهي القربه الصغيره
وكنت ابصر بكراز الراعيه بالدو ينظر من عينين ذا الشهب
الكراز الكبش يحمل عليه الراعي اداته
وصادعا بالقنا من عيران علقت فاه يوما يرمح لا ولم ينب
القنا ارتفاع الانف وحدب وسطه وصدع به اى كشفه
معا وكم رأت مقلتي عينين ما وهما تجري من الغرب والعينان في حلب
الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان
وكم نزلت بارض الخيل بها وبعد يوم رأيت البشر في القلب
البسر جمع بسرة وهي الماء الجديث العهد بالمطر
والقلب جمع قليب
وكم رأيت باقطار الفلا طفقا يطير في الجو منصبا الى ضبب
الطبو القطعه من الجراد
وكم مسلخ في الدنيا رأيتهم مخلدين ومن نحو من العطب
المخلد الذي ابطا شيبه
وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا بمنطق ذي لواء مضى من القضب
الوحش الرجل الجايع
وكم دعاني مستنيح فجادني وما اخل ولا اخللت بالادب
المستنيح الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع
الذي يظن انه يجاوب
وكم الحث فلوصي حين خبته يطل ما شئت من عرب ومن عرب
الخبته القبه والعرب جمع عروب وهي المحبه لزوجها

وكم نظرت الى من سر ساعته ودمعه مستهل القطر كالسحب

السرار قطع سره وسرة وسمي ما بقي بعد القطع السرة

وكم ربيت قميصا ضم صاحبه حتى استوى واهي الاعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم ازرت الوان الدهر الفه لجف لبد جنبت السير مضطرب

الازار المراة ومنه قول الشاعر فدى لك من اخي ثقة ازاري

هذا وكم من ارفاني معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم للحن القول بان لكم صدقي وذلكم طلعي على طبي

وان شدهتم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والحطب

قال الحرث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب فرائضه وتاويل معارضه

فلو يلهونا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس بعشك فادرجي الى ان

تعسر الانتاج واستحكم الارتتاج فالقينا اليه المقادة وخطبنا

منه الافادة فوقف بين الطمع والياس وقال الايناس قبل

الابساس فعلمنا انه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم

وساءنا ان نتوانا ان نتعرض للغرم او نجيب بالرغم فاحضرنا

ناقة عيدية وحلة سعيدية وقال له خذهما حلالا ولا نرزأ

اضيافي زبالا وقال اشهد انها شنشنة اخزمية وانجبة حاتمية

ثم قابلنا بوجه بشره لنشف ونضرته ترف وقال يا قوم ان

الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واعيدوا

راحة الراقد لتستثيبوا نشاطا وتبعثوا نشاطا فبقوا اما الفجر

وبت بليلة اكره المتعشر فاستصوبت كل ما رآه وتوسد وسادة كراه
فلما وسنت الاجفان واغفت الضيفان وثب الى الناقة فرحلها
ثم ارتحلها وزحلها وقال مخاطبا لها

سروح يا ناق وسيري وجدي — وادلجي واوبي واستبدي
حتى تطا اخفافك مرعاها الندي — فنعمي جنيد ونعدي
وتأمني ان تشتمي وتجدي — ابيه فديتك النوجدي واجدي
وادري ادبر قد وقد فقد قد — واقنعي بالنشج عند المورد
ولا تخطي دون ذاك المقصد — فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد — انك ان احللتني في بلدي
حللت مني بمحل الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع واذا املا الصاع
انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوم من النوم اعلمتهم
ان الشيخ حين اغتنامهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة
وفات فاخذتهم ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه بما
خبث ثم انشعبنا في كل مشعب وذهبنا تحت كل كوكب ◦
قال القاسم بن علي قد فسرت سر كل الغرنجة ولم ابعد على من
يقراه كشفه وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه المقامة
ربما التبس تفسيرها على البعض من يقع اليه فاحببت تفسيرها
له ليشفي حرة الشبهة وكلفة الفكرة وضمه البحث
والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة والقوة ◦

قوله عشوت الى نار يعنى نظرت نحوها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت
عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اى من يعرض
وقوله وكنت امرا من عنز الجربا والعنز الجربا هذان مثلان يضربان لمن
يبلغ منه البرد وذلك لان الحربا تدور ابدا مع الشمس وتستقبلها بعينها
والعنز الجربا لا تدفا فى الشتا لقلة شعرها وذكر بعضهم
ان العنز الجربا تصحيف المثل الاول وقوله بجر دراية يعنى الجمل المكتنز
سنما الكثير شحمه وقوله عشاره نحور واعشاره تفور
العشار النوق الحوامل والاعشار البرمة العظيمة كانها
شعبت لعظمها يقال برمة اعشار وجمعه اعشار وثوب
اسمال وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف الجماعة منها
لوصف الواحد وقوله فاكهة الشتا كنى به عن النار ومنه
قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتا فمن يرد اكل الفواكه شاتيا فليصطل

وقوله موايدة الهالات يعنى دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة
وقوله مشوش الغمر يعنى المنديل يقال مشن يده بالمنديل اى مسحها
ومنه قول امرئ القيس

نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله مشتهبا قوله اى صار امر الشيب فى لون الاشهب ومنه قول
امرئ القيس ايضا قالت الخنسا لما جئتها شاب بعدى راس هذا واشتهب
وقوله ربض حجره يعنى ناحيته ويقال فى المثل لمن ساير
الرخا ولجانب عند البلا برتع وسطا ويربض حجرة

وقوله فاستوى على سمع السامر يعني السُمّار لان السامر اسم للجمع الحاضر اسم للحي النازلين على الما وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض اهل اللغة هو اسم للقمر مع رعايتها ولشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ من السُمرة فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا اكلمه القمر والسمرة

وقوله ليس بعشك فادرجي هذا مثل يُضرب لمن يعاطي ما لا يعني له والعش ما يكون في شجرة فان كان في حايط او جبل فهو وكر

وقوله الابساس قبل الايناس هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان يونس الانسان بين يدي حلف واصله ان حالبت الناقة يونسها حين يروم حلبها ثم يبسّ بها المحلب والابساس ان يقول لها بُس بُس لتسكن وتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس سميت البسوس

وقوله يرغب في الشكم والشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيت مبتديا فهو الشكد

وقوله سارنا مثوانا يعني المصيف الذي اووا اليه وثووا عنده

وقوله ناقة عبيدية قيل انها منسوبة الى فحل منجب اسمه عبيد وقيل هي منسوبة الى الخذين من اسمه عبيد وكانت مهرة وعبيد يتخذان نجايب الابل فنسبت اليهما

وقوله حلة سعيدية وهي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه كساه وهو علية حلة فنسبت جنسها اليه

وقوله لا يرزا اصابني زبالا اي لا يرزاهم شيئا وان قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها

وقوله شنشنة اخزمية اشارة الى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج بن اخزم الطائي

حين نسبا حاتم وتعيلا خلاف جده اخزم في الجود فقال شنشنه اعرفها
من اخزم ه وتمثل عقيل بن علفه به حين قال
ان بني ضرجوني بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم   شنشنه اعرفها من اخزم
ومن ادعى ان المثل له فقد سهى فيه
وقوله اجلوذا اي اسرع في الذهاب ومثله اخروط ه وقوله وثب
الى الناقه فرحلها يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحله لانها
فاعله بمعنى مفعوله كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق والراحله
تقع على الناقه والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغه مثل داهيه
وراويه وقوله ارتحلها اي ركبها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه
سجد فركبه الحسن عليه السلم فابطا في سجوده فلما قضى صلاته قال
ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله ه وقوله ورحلها اي ازعجها
واشخصها واجد بها في الرحيل ومنه الخبر خرج عنا فترابه
الساعه ما من معز عدن ترحل الناس ه وقوله فادلج وادلج في
واستيرى الادلاج ان تسير الليل كله والاسم منه الدلجه بفتح
الدال والادلاج بالتشديد ان تسير من اخره والاسم منه الدلجه بضم
الدال وضمها بمعنى والتاويب سير النهار وحده والاساد
ان تسير ليلا ونهارا ه والتسبيح ان تشرب دون الري وقوله
فاضمم ما قدم وما حدث يقال ذلك لمن يستولي عليه الهم
والدال من حدث تضم في هذا الموضع وحده لتوافق قدم فان افرد
حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله قوله هناني
ومراني بحذف الالف من مراني اذا ذكر مع هناني فان افردته وجب

اللبد
ويسمى الراحله ...
عع
وقال ... الدلجه ... الليل ...

ان يقول امرانى الشى به وقوله ذهبنا تحت كل كوكب هذا المثل
يضرب لمن تخلف في السفر عن قومه وتنبا بين سبلهم ه

المقامه الخامسه والاربعون

حكى الحرث بن همام قال لما اجتبت غرارى لى البحار بسار السفر
من آيه الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفه واقتحم كل مخوفه حتى
اجتليت كل اطروفه فمن احسن ما لمحته واغرب ما اشتملته
انى حضرت قاضى الرمله وكان من ارباب الدوله والصوله وقد
ترافع اليه بال ذو بال وذات جمال واسمال فهم الشيخ بالادلاع
وتبيان المرام فمنعته الفتاه من الافصاح وخسائه عن الكبلح
ثم نضت عنها فضله الوشاح واسلت بلسان السليطه الوقاح

يا قاضى الرمله يا ذا الذى في يده التمرة والجمره
اليك اشكوا جور بعلى الذى لم يحجج البيت سوى مره
وليته لما قضى نسكه وحط طهر اذى الجمره
كان على راى ابى يوسف في صله الحجه بالعمره
هذا على انى مذ ضمني اليه لم اعص له امره
فمره اما الفه حلوه ترضى واما فرقه مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعه الشيخ ابى مره

فقال له القاضى قد سمعت ما عزتك اليه وتوعدتك عليه
فجانب ما عزاك وحاذر ان تفرك وتعرك فجثا الشيخ
على ثفناته وتفجر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما رابها عذره
والله ما اعرضت عنها قلى ولا هوى قلبي قضى نذره
وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدره والذره
فمنزلي قفر كما جيدها عطل من الجزعه والشذره
وكنت من قبل ارى في الهوى ودينه تأبي بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى هجران عف آخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن اتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله واعطف عليه واحتمل هذره

قال فالتفت المراة من مقاله واستنبت الحجج لجداله وقالت له ويلك اتضيق بالولد ذرعا وتحل الكولة مرعى لقد ضل همك واخطا سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي اما انت فلو جادلت الخنسا لانثنت عنك خرسا واما انت هو فان كان صدق في زعمه ودعوى عدمه فله في هم تقيه ما يشغل عن ذيته فاطرقت تطرقان وتارة تأران ولا ترجع جوابا حتى قلنا قد راجعها الخفر او حاق بها الظفر فقال لها الشيخ تعسا لك ان زخرفت او لمت ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد ان زخرفت او بقي لنا على ستر ختم وما قبنا الا من صلف المنافقين ختم او بقي لنا على ستر ختم وهتك صوته اذ نطق فلبثنا لا قبنا البكم ولم نلق الحكم ثم التفعت بوسناجها ونادت لانتضاحها وجعل القاضي يتعجب

من خطبتهما وتعجب من بلوغهما الارب وبوتهما ثم احضر من الورق
الفين وقال ارضيا بهما الاجوفين وعاصيا النازغ بين الالفين
فشكراه على حسن السراح وانطلقا وفمهما ذا الما والراح وطفق
القاضي يعد مسرحهما وسآى شيخهما يثني على ذهنهما ويقول هل من
عارف بهما فقال له عين اعوانه وخالصة خلصانه اما الشيخ
فالسروجي المشهود بفضله واما المراة فقعيدة رحله واما
تخاتمهما فمكيدة من فعله واحبوله من حبائل ختله فاحفظ
القاضي ما سمع وتلمظ كيف خدع ثم قال للواشي بهما قم
فردهما ثم اقصد بهما وحيث ما فنهض ينفض مذروبه ثم عاد
يضرب اصدريه فقال له القاضي اظهر لنا على ما بنشده ولا
تخف ما الخبيث فقال ما زلت استقري الطرق واستفتح
الغلق الى ان اذنتهما مصحرين وقد زما مطي البين فرغبتهما في
العلل وهلت لهما بنيل الامل فاشرب قلب الشيخ ازتماس
وقال العزار تقراب الهبس وقالت هي بل العود احمد والفروقة
تكمد فلما تبين الشيخ سفه رايها وغرر اجترايها امسك
دلاذلها ثم انشا يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سبله ... واغني عن التفصيل بالجمله
طبري متى تقرني من تحلة ... وطلقيها بتة بتلة
وحاذري العود اليها ولو ... سبلها ناطوها الابله
فخير ما اللص الذي لا يرى ... بقعة فيها له عمله

ثم قال لي لقد عثيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك

ان شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالاذى فتضحي وشمل المال والحمد منصدع

ولا تغضبن من ترداد سائل فما هو في صوغ اللسان بمبتدع

وان يك قد ساءتك منه خديعة فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شجونه واملح فنونه ثم انه اجب

زايله بردين وصرة من العين وقال له سر سر من لا يرى الا اللقاء

الى ان نرى الشيخ والفتاة فقبل يديهما بهذا الحبا وبين لهما الخداع

للادبا قال الراوي فلم ار في الاغتراب كهذه العجاب ولا

سمعت بمثله ممن جال وجاب

المقامة السادسة والاربعون

حدث الحرث بن همام قال نزع بي الى حلب شوق غلب وطلب يا له من

طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة

السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم ازل مذ حللت ربوعها

وارتبعت ربيعها اقضي الايام فيما تشتهي الغرائز وتروي الاربع

الى ان اقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه

فاغراني البال الخلو والمرح الحلو بان اقصد حمص لاصطاف

بقعتها واستبر دماثة اهل رقعتها فانشمرت اليها انشمار

النجم اذا انقض للرجم فحين خيمت بربعها ووجدت روح نسيمها

لمح طرفي شيخا قد اقبل بعرنينه وادبر غربه وعنده عشرة صبيان

صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص الى ان خبرته اديبا
حمص بشر من حيي وافنيه وحيا باحسن تحيته فجلست اليه
لابلو جنا نطقه واتبين كنه حمقه فما لبث ان اشار بعصيته
الى اكبر اصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر ان
تماطل فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

اَعْدِدْ لحسادك حدّ السلاحْ وَاَوْرِدِ الآمل وِرْدَ السماحْ
وَصارِمِ اللهو ووصل المها واعمل الكوم وَسُمْرَ الرماحْ
وَاسْعَ لادراك محل سما عمادُهُ لا لادّراع المراحْ
وَالله ما السُّؤْدَدُ حسو الطلا ولا مراد الحمد رُوْدٌ رداحْ
وَاهًا لحرٍّ صدره واسعٌ وهمّه ما سرّ اهل الصلاحْ
مَوْرِدُهُ حلوٌ لسؤّاله وماله ما سألوه مطاحْ
ما اسمع الآمل ردًّا ولا ماطله والمطل لؤمٌ صراحْ
ولا اطاع اللهو لما دعا ولا كسا راحًا له كأس راحْ
سَوَّدَهُ اصلاحُهُ سِرَّهُ وَرَدْعُهُ أهواءَهُ والطماحْ
وَحَصَّلَ المدحَ له علمه ما مهر العور مهور الصحاحْ

فقال له احسنت يا بدير يا بدر الدير ثم قال لتلوه المشبه بشبوه
ادْنُ يا نُوَيْرَةُ يا قمر الدويرة فدنا ولم يبطئ حتى جلس منه مقعد
المعاطي فقال له اجلُ الابيات العرايس وان لم يكن نفايس
فبرى وغط ثم احتجر اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني بتجنٍّ يفتن غبّ تجنّ
شغفتني بجفن ظبي غضيض غنجٍ يقتضي تغيض جفني

ثني

غشنبغني بزينبين فشنفتني بزيّ يشنف بين بني

فتطببت تجنيبي فتجز بين نفث يشفي تحبيب ظني

تبيت في غش جيب نز بين جيب يغي يشفي ضغن

فنزق في تجنبي فشي بتشبيج يشجي بقن ففن

فلما نظر الشيخ الى ما حبّره وتصفح ما ذبّره قال له بورك فيك من
طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف اقترب يا قطرب فاقترب
منه فتى يجلي بجمر دجيه او تمثال دميه فقال له ارقم الابيات
الاخياف وتجنب الخلاف فاخذ القلم ورقم

اسمح فثبت السماح زين ولا تخب املا تضيف

ولا تجز ردّ ذي سؤال فنّ ام في السؤال خفف

ولا تظن الدهور تبقي مال ضنين ولو تقشف

واحلم فحفظ الكرام يقضي وصلهم في العطا تعفف

ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلّت يداك ولا كلّ مداك ثم نادى يا غشمشم يا
عطر منشم فلباه غلام كدرّه غوّاص وجوذر قناص فقال
له اكتب الابيات المناسيم ولا تكن من المشائيم فتناول القلم
المثقف وكتب ولم يتوقف

زينب زينت بقد بقد وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعس يجد

فدرها فذرها وتاهت وباهت واعدد واعند تجد تجد
فارقني فارقني وشطت وشطت ثم نم وجد وجد
فدنت فدنت وحنت وجنت مغضبا مغضبا بود بود

فطفق الشيخ يتامل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه
واستفصح ضبطه قال له لا يشلل عشرك ولا استخف بشرك
ثم هاب بفتى فتان يسفر عن ازهار بستان فقال له انشد البيتين
المطرفين المشتبهي الطرفين اللذين اسسهما ذلك نافث وامنا ان
يعززا ثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك
واسند من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن اعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السودد والمكرمه

فقال له اجدت يا زغلول يا ابا الغول ثم نادى اوضح يا ياسين ما ابتكل
من ذوات السين فنهض ولم يتان وانشد بصوت اغن

نفس الدواة ورشع الهف منتبه سببا همّا ازمة اخطا وان بيسا
وهكذى السين في فس وباسفه والسحر والنس والسر وافس
وفي تنفس بالليل الحالع وفي مستبطر وشموس والخد جرسا
وفي فرس وبرد فان تحذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له احسنت يا نعيش يا صاحبه الجيش ثم قال يا عنيسه
وبين الصادات الملتبسه فوثب وثبة شبل هنا ثم انشد غير عاذ

بالصاد تكتب قد قبضت ذناهما باناملي واصخ لتسمع الخبر
وبصقت البصق والصماخ وصنجه والقص وهو الصدر واقبص الاثر
والخصت مقلته وهذي قرصة وقد اعرض منه الفريصة للخور
وقصرت هنداي حبشت وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا حذت اللسان وكل هذا مستطر

فقال له رعيا لك يا بني ولقد اقررت عيني ثم استنهض داجنه
كالبدر ونعشه كالسنود فى وامره بان يقصد المرصاد
ويسرد ما الجرى على السين والصاد فنهض يسحب بردته ثم
انشد مسترسلا ببديهه

ان شئت بالسين فاكتبما ابنيه وان تشا فهو بالصاد ان يكتب
مغس وفقس ومسطار ومملس وسالغ وصراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو مسكر العين
والفقس فقس البيضه والمسطار الخمر المزة ويقال
لها المسطاره ايضا والمملس الذي يسقط من بدائه ولم يكن ~~ النعر ~~
والسالغ اخر اسنان ذوات الظلف والسقب القرب

والسامغان وصقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم والمسلاق الشديد الصوت
ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد

فقال له احسنت يا حبقه يا عين بقه ثم نادى يا دغفل يا ابا زنفل
الزنفل الداهيه ويقال ايضا فنفسه المتفلاه فلباه نبى احسن من بيضه

في روضه فقال له ما عقد هجا الافعال التي آخرها حرف اعتلال
فقال له اسمع لاصم صداك ولا سمعت عداك ثم انشد وما استرشد

اذا الفعل يوما غم عنك هجاوه فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا يافعه البقاع فاقبل احسن من باز القرى في عين ابن السرى فقال له اصدع بسر الظاء من الضاد ليصدع اباد الاضداد فاهتز لقوله وانتش ثم انشد بصوت اجش

ايها السائلي عن الضاد والظاء لكيلا تضله الالفاظ
ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرء له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظران والايقاظ
والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظة والانتظار والالظاظ

وظبيف وظالع وعظيم وظهبز والفظ والإعلاظ
ونظيف والطرف والظلف والظاهر ثم الفظيع والوعاظ
وعظاظ والظعن والمظ والجبطل والقارظان والاوساط
المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو النبات المدبوغ به
والاوشاظ الاخلاط والجماعات
وظراب الظران والسظف الباهظ والجعظري والجواظ
الظراب الربا الصغار والظران الحجاره المحدده واحدها ظرر
والجعظري المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الاكول
والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظبان والارعاظ
الظرابين جمع ظربان وهي دابه لا يطاق فسوها وجمع ايضا
على ظرابي بحذف النون والحناظب ذكور الخنافس
والعنظب ذكر الجراد والظبان ياسمين البر والارعاظ
جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم
والشناظي والدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان
الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب
الفحش وقد يبدل الباء ميما وقيل ان الظاب والظام
اسماء لسلف الرجل والعنظوان نبت والظبظاب
الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قلبه والجعظ
الاحمق وقيل المنسي عندنا لطعام

وَالشَّنَاطِيرُ وَالنِّغَاطِلُ وَالعِظْلِمُ وَالنَّظْرُ بَعْدُ وَالإِنْعَاظُ

السناطر جمع شنطر وهو السيئ الخلق والنغاطل

تلازم الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي

هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفوا آثارك الحفاظ

واقضِ فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ وقاظوا

فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك فوالله انك

مع الصبى الغض لاحفظ من الارض واجمع من يوم العرض ولقد

اوردتك وزففتك زلالي وثقفتكم تثقيف العوالي فاذكروني

اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون قال الحرث بن همام فعجبت

لما ابدى من براعه مجونه برقاعته واظهر من حذاقته مع وجه حملقه

ولم يزل يصري بصعده وتصوبه ويتنزعه وينقب وهو كمن

ينظر في طلسما او يسري في بهما فلما استزادت تبنيني واستبان

ذلهي جملوا لي وتبسم وقال لم يبق من توشم فتهنأ لنحوى كلامه

ووجدته ابا زيد عند ابتسامه واخذت اللومه على تدبر تقعه

التوقى ونخسر حرفه الحمقى ودار وجهه اسف. تمادا او

أشرب سوادا الاانة انشد وما تمادى

تخبرت حمص وهذى الصناعه لادرق حظوه اهل الرقاعه

فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال الا بقلعه

ولا لاحي اللب من دهره سوى ما العيش ربيط بقاعه

ناقه

ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعه واربح بضاعه وانجح شفاعه
وافضل براعه وربه ذو امره مطاعه وهيبه مشاعه ورعيه
مطواعه يتسيطر تسيطر امير ويترتب ترتب وزير ويحكم تحكم
قدير ويتشبه بذي ملك كبير لولا انه يخرف في احد عسكري بسم
يحمق شهر وينقلب بعقل صغير ولا ينبيك مثل خبير
فقلت له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب
بالافهام المذلل له سبل الكلام ثم لم ازل معتفيا بادبه ومغترفا
من سيل واديه الى ان غابت الايام الغر ونابت الاحداث
الغبر ففارقته ولعيني العبر

المقامه السابعه والاربعون

حكى الحرث بن همام قال احتجت الى الحجامه وانا بحجر اليمامه فارشدت
الى شيخ يحجم بلطافه ويستر عن نظافه فبعثت غلامي لاحضاره
وارصدت نفسي لانتظاره فابطا بعد ما انطلق حتى خلته قد ابق
او ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مستصحبا الكل
على مولاه فقلت له ويلك ابطات فيد وصلود زند فزعم ان الشيخ
اشغل من ذات النحيين وفي حرب حنين فعفت الممشى الى
حجام وحرت بين اقدام واحجام ثم رايت ان لا تعنيف على من
باتى الكنيف فلما شهدت حومته وشاهدت ميسمه رايت شيخا
هيئته نظيفه وحركته خفيفه وعليه من النظاره اطواق ومن الزحام

طباق وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ يقول
له ازاك قد ابرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك ولبتني وذلك
ولم تقل لي ذالك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب اثرا
بعد عين فان انت رضيت بالعين فحجمتي بالاخدعين وان لست
ترى الشح اولى وحزن الفلس في النفس احلى فاقرا عبس وتولى
واعزب عني والا فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد
الحرمين انى لافلس من ابن يومين فثق بتسهيل تعلتي وانظرني الى
سعتي فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود كغرس العود هو
بين ان يدركه العطب او يدرك منه الرطب فما يدريني اتحصل
من عودك على جنى ام احصل منه على ضنى ثم ما الثقة بانك حين
تشعب تستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا
الجيل فارحني بالله من التعذيب وارحل الى حيث يعوي الذيب
فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما
تحيس بالعهد الا غير الحسيس الوعد ولا يرد غدير الغدر الا
الوضيع القدر ولو عرفتني لما اسمعتني الخنا الذي جهلت
فقلت وحيث وجب ان تسجد بلت وما اقبح الغربة والاقلال
واحسن قول من قال

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة والمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما اصلى الياقوت جمر غضا ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت
فقال له الشيخ باو بلة ابيك وعوله اهليك الشي موقف فخر
نظهر وحسب نشهر ام موقف جلد بكسط وقفا بشرط وهب
ان لك لبيت كما ادعيت لحصل بذلك جمر فذالك لا والله ولو
ان اباك انا ف على عبد مناف اوخالك دان عبد المدان فلا تطلب
ما لست بواجد ولا تضرب في حديد بارد وباه اذا باهيت موجودك
لا بجدودك ومحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وباعلاقك
لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك فلله
القايل لابنه

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه اذا ما النوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت احشاوه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردى فكم من محلق الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوى القربى فيقبح ان يرى على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان يقتدر فاصفح فلا خير في امري اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم ير ذا نهى شكا بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى
فقال الغلام للنظارة بالفحسه والطرفه الغريبه انف في السماء
واست في الماء ولفظ ذا الصمصام وفعل ذا الحصباء ثم اقبل على الشيخ
بلسان ساحط وغيظ مستشيط وقال اف لك من صواغ باللسان

رواغ عن الاحسان يامر بالبر و يعق عقوق الهر وان يكن
سبب تعنتك نفاق صنعتك فرماها الله بالكساد و اكساد
الحساد حتى ترى افرغ من حجام ساباط و اضيق رزقا من سم خياط
فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم و تبيغ الدم حتى
تلجأ الى حجام عظيم الاستشطاط ثقيل الاشتراط كليل المشراط
كثير المخاط والضراط قال فلما بصر الفتى انه يشكو الى غير
مصمت ويرى اول استفتاح باب مصمت اضرب عن رجع
الكلام واحتفز للقيام وعلم الشيخ انه قد الم بما اسمع
الغلام فجنح الى سلمه وبذل ان يذعن لحكمه ولا يبتغي اجرا
على حجمه وابى الغلام الا المشي بدايه والهرب من لقايه
وما زال الا في لحاح و سباب و لزاز و جذاب الى ان ضج الفتى من
الشقاق و تلا عليه سورة الانشقاق فاعول حسد لو فاته
خسره وانعطاط عرضه وطمره واخذ الشيخ يعدد من
فرطاته و يغض من عبراته وهو لا يصغي الى اعتذاره ولا يقصر
عن استعباره الى ان قال فداك عمك و عداك ما يغمك اما
تسام الاعوال اما تعرف الاحتمال اما تسمع لمن قال
واخذ يقول ثم قال

احمد لحلمك ما تذكيه ذو سفه من نار غيظك واصفح ان
جنى جان

فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به والاخذ بالعفو احلى ما جنى جان

فقال له الغلام اما انك لو ظهرت على عيشي المنكدر لعذرت
في دمعي المنهمر ولازهار على الاملس ما لاقى الدبر ثم كأنه
نزع الى الاستحيا فاقلع عن البكا وفاء الى الارعوا وقال للشيخ
قد صرت الى ما استنهيت فارتفع ما اوهبت فقال هبها
شغلت بشعابي جلواي فشم بارق سواي ثم انه نهض يستقري
الصفوف ويستجدي الوقوف ويستدفي ضمن ما يطوف

اقسم بالبيت الحرام الذي تهوي اليه الزمر المحرمه
لو ان عندي قوت يوم لما مسّت يدي المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو الى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته مني حمه
لكن صروف الدهر غادرتني اخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر الى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى يدركه رقة علي او تعطفه مرحمه

قال الحرث بن همام فكنت اول من اوى للواه ورق لشكواه فنفحته
بدرهمين وقلت لا دانا ولو كان نذر امين وانتحى بالكوم مجناه
وتقاليتها الغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه
حتى آل ذا عيبته خضرا وجفنه نجرا فازدهاه الفرح عند
ذلك وهنأ نفسه هنالك وقال للغلام هنا تبع انت بذره

وجلبت لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فقاسمته بينهما استواء الابلمة
ونهضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ
بالرواح قلت له قد تبوع دمي وتقلقل لبك قدمي فهل لك
في ان تحمني وتكشف ما دهمني فصوب طرفه في وصعد
ثم ازدلف الي وانشد

كيف رأيت خدعتي وختلي … وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انتشت فابزا بالحصل … ارعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي … هل ابصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل … ويستبي بالسحر كل عقل
ويمزج الجد بما الهزل … ان يكن الاسكندري قبلي
فالطل قد يبدو امام الوبل … والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني ارجوزته عليه واريتني انه شيخنا المشار اليه فقرعته
على الابتذال والانحاق بالارذال فاعرض عما سمع ولم يبال بما
قرع وقال كل الحذا يحتذي الحافي الوقع ثم فاصاني مفاصاة
المهان وانطلق وابنه كفرسي رهان ه قال القاسم بن علي
قد اودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من امثال العرب
فسرت منها ما خلته يلتبس على من يقتبس اما قوله بط فقد هو
مولى عايشة بنت سعد بن ابي وقاص وكانت بعثته بالمدينة
ليقتبس لها نارا فقصد مصر واقام بها سنة ثم جاها بعد السنة

يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة ۞ واما ذات
النحيين فهي امراة من بني تيم الله بن ثعلبة تحضر سوق عكاظ ومعها نحيا
سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الانصاري ليساومها فيهما ففتح
احدهما وذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى يديها ثم فتح الاخر
وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا
تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما
قام عنها قالت لا هناك فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل
مفعوله لانها شغلت واكثر الامثال على افعل تاتي من فعل الفاعل ۞
واما قوله انف في السما واست في الما يضرب هذا المثل لمن يتكبر
مقالا ويصغر فعالا ۞ واما قوله افرغ من حجام ساباط فذكر انه كان
حجاما ملازما ساباط المداين يحجم الجند بدانق نسيئة وربما
مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان يخرج امه عند ما ذكر
عطلته فيحجمها لئلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها
وماتت ۞ واما قوله تشكوا الى غير مصمت فهو مثل
يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه ولا يبالي باستماع شكايته
لانه لو اشتكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز
يخاطب جملا له

انك لا تشكوا الى مصمت   فاصبر على الحمل الثقيل او مت

ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر ۞
واما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه

الى غيرى والشعاب النواحى واحدها شعب
وقوله كل الحذا يحتذى الحافى الوقع معناه ان المجهود يقنع بما
يجد والوقع ان يصيب الحجارة القدم فتوهنها فاما البعير
الموقع فهو الذى يكثر اثار الدبر بظهره

المقامه الثامنه والاربعون وتعرف بالحراميه

روى الحرث بن همام عن ابى زيد السروجى قال ما زلت مذ رحلت
عنسى وارتحلت عن عرسى وغرسى احن الى عيان البصره حنين
المظلوم الى النصره لما اجمع عليه ارباب الدرايه واصحاب الروايه
من خصايص معالمها وعلمايها وماثر مشاهدها وشهدايها واسل
الله ان يوطينى ثراها لافوز بمراها وان يمطينى قراها لاقترى
قراها فلما احلنيها الحظ وسرح لى فيها اللحظ
رايت بها ما يملا العين قره ويسلى عن الاوطان كل غريب
فغلست فى بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو
المنذر بالنوم لاخطو فى خططها واقضى الوطر من توسطها
فادانى الاختراق فى مسالكها والانصلات فى سككها الى محله
موسومه بالاحترام منسوبه الى بنى حرام ذات مساجد مشهوده
وحياض موروده ومبان وثيقه ومغان انيقه وخصايص
اثيره ومزايا كثيره

بها ما شيت من دين ودنيا وجيران تنافوا فى المعانى

فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع الى تخليص عان
وكم من قارئ فيها وقار اضرا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها وناد للندى جلو المجاني
ومغنى ما يزال يغن فيه اغاريد الغواني والاغاني
فصل ان شئت فيها من تصلي واما شئت فادن
ودونك صحبة الاكياس فيها او الكاسات مطلوق العنان

قال فبينا انا انفض طرقها واستشف رونقها اذ لمحت عند دلوك براح وإظلال الرواح مسجدا مشتهر الطرائفه مزدحما بطوائفه وقد اجرى اهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فبحثت نجوم لا استمطر نوءهم ولا اقتبس نجوهم فلم يك الا كنفثة العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ثم ردف التاذين بروز الامام فاغمد نطق الكلام وحل الحبى للقيام وشغلنا بالقنوت عن لفظها دا لقوت وبالسجود عن السمر لجود ولما قضي الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال يا حيرى الذين اصطفيتهم على اغصان شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم لبسي وعيبتي واعددتهم لمحضري وغيبتي اما تعلمون ان لبوس الصنعة ابهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة وان الدين امحاض النصيحة والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة

وإنّ المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وإنّ أخاك هو الذي
عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدّقك فقال
له الحاضرون أيها الخلّ الودود والخدن المودود ما سرّ كلامك
الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منا لننجز
فوالذي حبانا بمحبتك وجعلنا من صفوة أحبتك ما نألوك نصحا ولا
ندّخر عنك نصحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فإنكم ممن لا
يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا
يطوى دونهم مكنون وسأنبئكم ما حاك في صدري واستفتيكم
فيما عيل له صبري اعلموا أني كنت عند صلود الزند
وصدود الجدّ أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته صفقة
العهد على أن لا أسبأ مداما ولا أعاقر ندامى ولا أحتسي
قهوة ولا أكتسي نشوة فسوّلت لي النفس المضلة والشهوة المزلة
أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار
وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة
كالميت ثم لم أقنع بها تبكّم المرء في طاعة أبي مرة حتى عكفت
على الخندريس في يوم الخميس وبتّ صريع الصهباء في الليلة الغرّاء
وها أنا بذي الكآبة لنقض الإنابة نامي الندامة لوصل المدامة
شديد الإشفاق من نقض الميثاق معترف بالإسراف في عبّ
فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعد من ذنبي وتدني لحدّي السلاف
قال أبو زيد فلما أحلّ أنشوطة نفثه وقضى الوطر من شكا بثه

ناجتني نفسي بأن أبا زيد هذه بهرة صيد فتشمرت عن يد وأيد فانتضيت
من مجثمي انتضاض السهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

أيها الاروع الذي فاق مجدا وسوددا
والذي يبتغي الرشاد ليحظى به غدا
ان عندي علاج ما بت منه مسهدا

فاستمعها عجيبة غادرتني مبلدا — انا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا — منزلي مالف الضيوف ومالي لهم سدى
اشتري الحمد باللهى واقي العرض بالجدى — لا ابالي بمنفس طاح في البذل والندى
اوقد النار باليفاع اذا النكس اخمدا — وتراني للمؤملين ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صيد فانثنى يشتكي الصدى — لا ولا رام قابس قدح زندي فاصلدا
طالما ساعد الزمان واصبحت مسعدا — فقضى الله ان يغير ما كان عودا
بوأ الروم ربعنا بعد ضعف تولدا — فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا
وحووا كل ما استسر بمالي وما بدا — فتطوحت في البلاد طريدا مشردا
اجتدي الناس بعد ما كنت من قبل مجتدى — وترى بي خصاصة امتني لها الردى
والبلاء الذي به شمل انسي تبددا — استباء ابنتي التي اسروها لتفتدى
فاستبن محنتي ومد الى نصرتي يدا — واجرني من الزمان فقد جار واعتدى
واعنّي على فكاك ابنتي من يد العدى — فبذا تمحى المآثم عمن تمردا

وبه تقبل الانابة ممن نز هدرا ، وهو كفاره لمن زاغ من بعد ما اهتدى
ولئن كنت منشدا فلقد كنت مسترشدا فاقبل النصح والهدايه واشكر لمن هدى
واسمع الان بالذى بنشنى لتحمدا

قال ابو زيد فلما اتممت هذه منى واوهمه المسول صدق حلمتى اعزاه الفرم الى الكرم مواساتى ورغبه الحلف بحمل الكلف فى مفاساتى فرضخ لى على الجائزه ونضح لى بالعده الوافره فانقلبت الى وكرى فرحا بنجح مكرى مرحا مرحا بما حصلت من صوغ المكيده على سوغ الثريده ووصلت من جول الفصيده الى لول العصيده قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب فى الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت فى دهر بنوه كاسد بيشه
وادر قناه المكر حتى تستدير رحا المعيشه
وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه
وارح فوادك ان نبا دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يوذن باستحاله كل عيشه

المقامه التاسعه والاربعون

حكى الحرث بن همام قال بلغنى ان ابا زيد حين ناهز القبضه وابتزه قبل الهرم النهضه احضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه وقال

يا بُنيّ انه قد دنا ارتحالى من الفنا واكتحالى بمِرود الفناء وانت بحمد الله
وَلي عهدى وَكبش الكتيبه الساسانيه من بعدى وَمثلك لا يقرع
له العصا ولا ينبه بطرق الحصا وَلكن قد يُندبَ الى الاذكار
وَيجعل صقلا للافكار وَانى اوصيك بما لم يوص به شيثُ
الانباط ولا يعقوبُ الاسباط فاحفظ وَصيتى وَجانب
معصيتى وَاحتذ مثالى واقتفه امثالى فانك ان استرشدت بنصحى
وَاستصبحت بصبحى امرع خانكَ وَارتفع دخانك وَان تناسيت
سورتى وَنبذت مشورتى قل رماد اثافيك وزهد اهلك
وَرهطك فيك يا بُنيّ انى جربتُ حقايق الامور وَبلوت تصاريف
الدهور فرايتُ المرء بنشبه لا بنسبه وَالفحص عن مكسبه لا عن
حسبه وَلقد سمعتُ ان المعايش اماره وَتجاره وزراعه
وَصناعه فمارستُ هذه الاربع لانظر ايها اوفق وَانفع فما
احمدتُ منها معيشه ولا استرغدتُ فيها عيشه
اما فرص الولايات وَخلس الامارات فكاضغاث الاحلام
وَالفي المنتسخ بالظلام وَناهيك غصه بمراره الفطام
وَاما بضايع التجارات فعرضه للمخاطرات وَطعمه للغارات
وَما اشبهها بالطيور الطيارات وَاما اتخاذ الضياع
وَالتصدى للازدراع فمنهكه للاعراض وَقيود عايقه عن الارتكا ض
وَقلما خلا ربها من اذلال او رزق روح بال وَاما حرف
اولى الصناعات فغير فاضله عن الاقوات ولا نافقه فى جميع

ممزوجه

الاوقات ومعظمها معصوب بتنبيه الجباه ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافى المشتهى صافى المشرب إلا الحرفة التى وضع ساسان أساسها ونوع أجناسها وأضرم فى الخافقين نارها وأوضح لبنى غبراء منارها فسهل وقائعها معلما وأخرس بسيماها ميسما إذ دانت المتجر الذى لا يبور والمنهل الذى لا يغور والمصباح الذى يعشوا إليه الجمهور ويستصبح به العمى والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد جيل فهم من خيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يرهبون لدلن ولا ناسغ ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غر محجلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا اخترطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عمن تغدوا خماصا وتروح بطانا فقال له ابنه يا أبه لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين لى من أين تؤكل الكتف فقال يا بنى إن الانتقاض بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب وأنشط من ظبى مقمر وأسلط من ذئب متنمر وأقدح زندك بجدك وافرع باب رزقك بسعيك وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل روض وأدل دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال وإياك والكسل فإنه عنوان النحوس ولبوس ذى البؤس ومفتاح

المتربه ولقاح المتعبه وشيمه العجزه الجهله وشنشنه الوكله
التكله وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحه من استوطأ
الراحه ٭ وعليك بالإقدام ولو على الضرغام فان جراءه الجنان تطلق
اللسان وتطلق العنان وبها يدرك الحظوه وتملك الثروه كما ان
الخور صنو الكسل وسبب الفشل ومبطأه للعمل ومخيبه للأمل
ولهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن هاب خاب ثم ابرز يا بني
في بكور ابي زاجر وجراءه ابي الحرث وحزامه ابي قره وحيل ابي جعده
وحرص ابي عقبه ونشاط ابي وثاب ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب
وتلطف ابي غزوان وتلون ابي براقش واخلب بصوغ اللسان واخدع
بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل
الرواد قبل المنتجع ودمث جنبك قبل المضطجع واستجد بصيرتك
للعيافه وانعم نظرك في القيافه فان من صدق توسمه طال تبسمه
ومن اخطأت فراسته ابطأت فريسته وكن يا بني خفيف
الكل قليل الدل دافعا عن العل قانعا عن الوبل بالطل وعظم
وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد
رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون ٥ واذا اختبرت بين ذره منقوده ودره موعوده ٥
فمل الى النقد وفضل اليوم على الغد فان للتأخير آفات وللعزائم
بدوات وللعدات عقبات وبينها وبين التنجز عقبات
وعليك بصبر اولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب خرق المشتط

وتخلق بالخلق السبط وقيد البهيم بالربط وشب البذل بالضبط
ولا تجعل يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ومتى نبا بك بلد اونابك فيه كمد فبت فيه املك واسترح
عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحله
ولا تستكرهن النقله فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا اجمعوا على
ان الحركه بركه والطراوه سفتجه وزروا على من زعم ان الغربه
كربه والنقله مثله وقالوا هي تعله من اقتنع بالرذيله
ورضي بالحشف وسو الكيله واذا الدمعت الاعراب واعددت
له العصا والجراب فتخير الرفيق المستعد من قبل ان تصعد فان
الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

خذها اليك وصيه لم يوصها قبلي احد
غرايبا حاويه خلاصات المعاني والزبد
نخلتها انتفع من محض النصيحه واجتهد
فاعمل بما مثلته عمل اللبيب اخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت واستقصيت فان اهتديت فواهالك
وان اعتديت فاهامنك والله خليفتي عليك وارجوا الا يخلف
ظني فيك فقال له ابنه يا ابه لا وضع عرشك ولا رفع نعشك
فلقد قلت سددا وعلمت رشدا ونحلت مالم ينحل والدولدا
ولئن امهلت بعدك ولا ذقت فقدك فلا تاذين بادابك الصالحه
ولا قتدين بآثارك الواضحه حتى يقال ما اشبه الليله بالبارحه

وَالغَادِيَة بالرائحة فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من اشبه
اباه فما ظلم ٭ قال الحرث بن همام واخبرت ان بني ساسان حين
سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها
كما تحفظ ام القران حتى انهم ليرونها الى الان اولى ما لقنوه الصبيان
وانفع لهم من نحلة العقيان ٭

المقامة الخمسون

حكى الحرث بن همام قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره ولاح
على شعاره وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي
الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من الجمرة الا القصد للجامع بالبصرة وكان اذ
ذاك ماهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه ازاهير
الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان
ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت اقصاه رأى
لي ذو اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا
يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فانتزعت قصده وتوردت
ورده ورجوت ان اجد شفائي عنده ولم ازل انتقل في المراكز
واغضي على اللكز والوكز الى ان جلست تجاهه وحيث امنت
اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه
فسرى مراه همي وارفض لرؤيته غمي وحين رآني وبصر مكاني
قال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما اصوع رياكم
وافضل مزاياكم بلدكم اوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة

وافسحها رقعه وامرعها بقعه واقومها قبله واوسعها دجله واكثرها
نهرا ونخله واحسنها تفصيلا وجمله وهلبز البلد الحزكم وقباله
الماء والمقام واحد جناحى الدنيا والمصر الموسس على التقوى
لم يدنس سوبه النزار ولا طيف فيه بالاوثان ولا سجد على اديمه
لغير الرحمن ذو المشاهد المشهوده والمساجد المقصوده والمعالم
المشهوره والمقابر المزوره والاثار المحموده والخطط المحدوده
به ملتقى الفلك والركاب والحسان والضباب والحادى والملاح
والقانص والفلاح والناشب والرامح والسانح والسانح وله اية
المد القابض والجزر الغايض واما انتم فمن لا تختلف في خصايصهم
اثنان ولا ينكرها ذو سنان دهما وكم اطوع رعيه لسلطان
واشكرهم لاحسان وزاهدكم اورع الخليقه واحسنهم طريقه
على الحقيقه وعالمكم علامه كل زمان والحجه في كل اوان ومنكم
من استنبط علم النحو ووضعه والذى ابدع ميزان الشعر واخترعه
ومامن فخر الا ولكم فيه اليد الطولى وان انتم به احق واولى
نهر انكما كثر اهل مصر موذنين واحسنهم في النسك فوانين وبكم
اقتدى في العتيق وعرف التسحير في الشهر الشريف
ولكم اذا اقرب المضاجع وهجع الهاجع نداء يوقظ النايم وينبّه
القايم وما انتم لعر فخر ولا بزع في بر ولا بحر الا ولنا ذنبكم
والاسحار كدوى الرخ في البحار وبهذا عنكم صدع النقل واخبر
النبى صلى الله عليه وسلم من نقل وبشران ذوبكم بالاسحار كدوى النحل فتشرفا
لكم بسار ه المصطفى وما منا المصركم وان كان قد عفا ولم يبق

منه الا شفا ثم انه خزن لسانه وخطم بيانه حتى حدج بالابصار
وقرف بالاقصار فتنفس تنفس من قيد الفؤاد وضبثت به براثن
اسد ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فمنكم الا العلم المعروف
ومن له المعرفة والمعروف واما انا فمن عرفني فانا ذاك
وشر المعارف من اذاك ومن لم يثبت عرفني فساصدقه صفتي
انا الذي انجد واتهم وايمن واشام واصحر وابحر وادلج واسحر
نشات بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت
المغالق وشهدت المعارك والنت العرايك واقتدت الشوامس
وارغمت المعاطس واذبت الجوامد وامعت الجلامد سلوا
عن المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل
والقبايل والقنابل واستوضحوني من نقلة الاخبار ورواة الاسمار
وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت وحجاب
هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة التحمت وكم الباب خدعت
اختلست واسد افترست
وبدع ابدعت وفرص
وكم مغلق عادته لغي وكامن استخرجته بالرقى وحجر سخرته
في الصدع واستسطت زلاله بالخدع ولا فرط ما افرط والغصن
رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فاما الان وقد
استشن الاديم وتاود القويم واستنار الليل البهيم فليس الا
الندم ان نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع ولكن روينا في الاثار
المسندة والاخبار المعنعنة ان لله تعالى في كل يوم نظرة

وان سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم للادعيه فقصدتكم انضي الرواحل واطوي المراحل حتى قمت هذا المقام فيلم ولا من لي عليكم اذ ما سعيت الا في حاجتي ولا تعبت الا لراحتي ولست ابغي اعطيتكم بل استدعي ادعيتكم ولا اسالكم اموالكم بل استنزل سوالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والاعداد للمآب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويعفوا عن السيئات ثم انشد

استغفر الله من ذنوب افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت
وكم اطعت الهوى اغترارا واختلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا الى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي الى الخطايا وما انتهيت
فليتني قبل هذا نسيا ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فانت اهل للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعه تمده بالدعا وهو يقلب وجهه في السما الى ان دمعت اجفانه وبدا رجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابه وانجابت غشاوة الاسترابه فجزيتم يا اهل البصره جزا من هدى من الحيره فلم يبق في القوم الا من سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفويتهم وافاض في شكرهم ثم انحدر من الصخره

[illegible]

بانم شاطي البصره واعتقبته الى حيث خاليا فامنا المحسن والمحسن
علينا فقلت له لقد اغربت في هذه النوبه فما رايك في التوبه فقال
اقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيئات ان شاني لعجاب وان دعاء
قومك لمجاب فقلت زدني ايضاحا زادك الله صلاحا فقال والله
لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع
فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني
وانطلق واودعني القلق فلم ازل اعاني الفكر واتشوف الى خبره
ما ذكر وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوابه البلدان
فكانما استنشي من جاور عجما او نادي صخرة صما الى ان لقيت بعد تراخي الامد
وتنائي الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر
فقالوا ان عندنا لخبرا اغرب من العنقا واعجب من نظرة الزرقا
فاستنباتهم ايضاح ما قالوا وان يكيلوا لي بما اكتالوا فذكروا انهم حلوا
سروج بعدما فارقها العلوج فراوا ابا زيدها المعروف قد لبس
الصوف وام الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت
اتعنون ذا المقامات فقالوا انه الان ذو الكرامات فحفزني اليه
نزاع وراتيتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحله المعدّ وسرت
نحوه سير المجدّ حتى حللت مسجده وقراره متعبده فاذا به قد
نبذ صحبه اصحابه وانتصب في محرابه وهو ذو عباه مخلوله وشمله
موصوله فهبته مهابه من ولج على الاسود والفيته ممن سيماهم في
وجوههم من اثر السجود ولما فرغ من سبحته حياني بمسبحته

من غير ان نغمر جليسًا ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على
اوراده وتركني اعجب من اجتهاده واغبط من يهدي الله من
عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع
الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم امس فحينئذ انكفأ بي الى
بيته واسهمني في قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى بمناجاة
مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح
ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجّع بصوت فصيح

خلِّ ادّكارَ الأربُعِ والمعهدِ المرتَبَعِ
والظاعنِ المودِّعِ وعدِّ عنه ودَعِ

واندب زمانًا سلفا سوّدتَ فيه الصحفا
ولم تزل مُعتكفا على القبيحِ الشنِعِ

كم ليلةٍ اودعتَها مآثمًا ابدعتَها
لشهوةٍ اطعتَها في مرقدٍ ومضجعِ

وكم خُطًى حثثتَها في خزيةٍ احدثتَها
وتوبةٍ نكثتَها لملعبٍ ومرتعِ

وكم تجرّأتَ على ربِّ السمواتِ العُلى
ولم تُراقبه ولا صدقتَ فيما تدّعي

وكم غمطتَ برّه وكم امنتَ مكرَه
وكم نبذتَ امرَه نبذَ الحذا المرقّعِ

وكم ركضتَ في اللعب وفُهتَ عمدًا بالكذب
ولم تُراعِ ما يجب من عهدِه المتّبعِ

فالبس شعار الندم　　واسكب شآبيب الدم　　قبل زوال القدم
وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف　　ولذ ملاذ المقترف　　واعص هواك وانحرف
عنه انحراف المقلع

الام تسهو وتني　　ومعظم العمر فني　　فيما يضر المقتني
ولست بالمرتدع

اما ترى الشيب وخط　　وخط في الراس خطط　　ومن يلح وخط الشمط
بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي　　على ارتياد المخلص　　وطاوعي واخلصي
واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى　　من القرون وانقضى　　واخشي مفاجاه القضا
وحاذري ان تخدعي

وانتهجي سبل الهدى　　وادكري وشك الردى　　وان مثواك غدا
في قعر لحد بلقع

اها له بيت البلى　　والمنزل القفر الخلا　　ومورد السفر الالى
واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه　　قد ضمه واستودعه　　بعد الفضا والسعه
قيد ثلاث اذرع

لا فرق ان يحله　　داهيه او ابله　　او معسر او من له
ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي يجيء الجبي والبذي والمبذري والمجندي ومن رعي ومن دعي

فيا مفاز المتقي وربح عبد متقي سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى وشب نيران الوغا لمطعم او مطمع

يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل لما اجترحت من زلل في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي

قال فلم يزل يرددها بصوت رفيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر اخذ يهينم بتلاوته ويستبك يومه في بالب امسه ... في ضمن ذلك بريز ارباب الركوب وسلي ولا بكا يعقوب حتى استبنت انه قد الحق بالافراد واشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت بقلبي عزمه الارتحال وتخلبته للتخلي بتلك الحال فكانه تفرس ما نويت او كوشف بما اخفيت فزفر زفير الاواه ثم قرا واذا عزمت فتوكل على الله فاستجلت عند ذلك نصدق المحدثين وابتسب ان ابي الامة محمد بن نهم ذنون اليه كما يدنوا المصلح وقلت اوصني ايها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعبرتي تحدرت من المآقي وزفراتي تتصعد من التراقي وكانت هذه خاتمة المقامات

قال الشيخ ابو محمد القاسم بن علي هذا اخر المقامات التي انشاتها بالاغترار
واملیتها بلسان الاضطرار وعد الحين الى ان رصعتها للاستعراض
ونادت عليها في سوق الاعتراض هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع
ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع ولو عشيني نور التوفيق ونظرت
لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان ذلك
في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل
اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو
انه هو اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والاخرة

اخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي واله وسلم تسليما
كتبه المبارك بن احمد بن عبد العزيز بن المعمر الانصاري من خط مصنفها بعد الاوراق بها

سمع جميع هذا الكتاب يشتمل على خمسين مقامة على مصنفه الشيخ الاجل الامام العالم ابي محمد القسم
ابن علي بن محمد بن عثمان الحريري ابقاه الله بقراءة الشيخ الاديب ابي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي صاحبه
الشريف ابو المعمر المبارك بن احمد بن عبد العزيز بن المعمر الانصاري نفعه الله به والشيخ الاجل ابو الفضل
عبد الملك بن علي بن عبد الملك بن محمد بن يوسف والشيخ ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد الخضر الجواليقي والشيخ
ابو الحسن عقيل بن الشيخ الامام ابي الوفاء عقيل والقاضي ابو الفرج علي بن القاسم بن حازم بن الفرا وابو المحمد هبة الله بن
محمد علي السراج وابو العباس احمد بن علي بن محمد الخير الانصاري وابو بكر عبد الله بن محمد بن احمد بن النقور وابو الفضل
شاه بن بهانداز وابو الفتح عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن بنان الزعفراني وابو عبد الله الحسين بن ظفر بن الحسين بن يزداد
وابو العباس احمد بن المبارك بن عبد الله البردلي وابو الفوارس عبد الباقي بن محمد المعروف بابن الفنا ... ابو
محمد عبد الله وابو المكارم مسعود بن محمد ... الشهرابادي وابو الفتح محمد احمد بن محمد حمدان وابو الحسن
صدقة بن احمد ... الصفار وابو القسم سعد بن الشيخ العدل ابي الحسن سعد بن ... حاربا ... بن عبد الله
وابو الفضل عبد الرزاق بن هبة الله بن احمد ... ابن محمد بن الحسن الفراش وابو علي ... الشرف
ابن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل واحمد بن علي ... المعروف بعلام ... وابو بكر محمد علي بن ... العار ...
الدبوقي وابو شجاع المبارك بن عبد الله مولى ... العباس وابو عبد الله محمد بن ابرهيم بن محمد المهدي العارض الاديب
وابو العباس احمد بن محمد بن حسن الحصري وابو الفتح احمد بن احمد بن علي البغدادي وابو سعد محمد عبد الباقي ... طاس
البيع وهزارسب بن عوض بن الحسن الهروي ... من اوله الى اخر الخامسة ومن اول السابعة الى اخر الثانية
عشرة ومن اول السادسة عشر الى اخر الكتاب ابو الفضل ابرهيم بن احمد عبد الله المحرمي ... من اول الكتاب
خمس عشرة مقامة ... ابو المعالي محمد بن الحسن بن علي ... من اوله ومن اول السادسة عشر
الى اخر الكتاب ... ابو القسم هبة الله بن الحسن ابرهيم السوقي المودب وابو العلاء احمد بن محمد بن ... الموفق
... من المقامة السادسة عشر الى اخر ... وابو الفضل علي ... الاول ...
... ابي سعد المبارك بن علي ...

نقلتها من خط احمد بن ابي الثنا محمود بن ابرهيم بن نبهان المعروف بابن الجوهري ما صورته

وسمع المولى الاجل الاعز نور الدولة علي بن سليمان بن عبد الله المقدسي الامير المشرف ابقاه الله تعالى جميع كتاب المقامات الاربعين تصنيف ابي محمد القسم بن علي الحريري وتشتمل على خمسين مقامة واخطبة على الشيخ الجليل الاصيل المسند ... عبد اللطيف بن محمد بن علي بن حمزة بن فارس بن القبيطي الحراني بحق سماعه من ابي بكر عبد الله بن محمد بن احمد النقور بقراءة عمه حمزة في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وثمانين وصح ذلك في مجالس اخرها يوم الجمعة ~~في مجالس ...~~

بسماعه من المصنف بقراءة الحافظ ابن ناصر في شعبان سنة اربع وخمسمائة وصح ذلك في مجالس اخرها يوم الجمعة عشرين رجب من سنة ثلث وستين وستمائة بقراءة العبد الى الله ابي الثنا محمود بن ابرهيم بن نبهان المعروف بابن الجوهري هذا خطه في منزل الشيخ بدرب ... ببغداد واجاز المسمع لصاحب النسخة جميع ما يسمع تجب الاجازة بشرطها والحمد لله رب العالمين وصحح ... وبلفظ الشيخ ... نقلته من ثبات ... عبد الله ... العجمي

قرات جميع هذا الكتاب وهو المقامات لابي محمد القسم بن علي الحريري على الشيخ العالم الفاضل السيد نور الدين علي بن سيف الدين سليمان بن عبد الله المشرف الناصري بسماعه المذكور اعلاه فسمع الشيخ الحاكم المولى الامام العالم قطب الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله ... بن الخضر وبدر الدين محمد بن عبد الرحمن بن ابي طالب بن عبد الله الحنفي الدمشقي وبها الدين هرون بن الشيخ شهاب الدين اسحق بن ابرهيم بن يعقوب وشمس الدين محمد بن علي بن حسن ونجم الدين عمر بن سليمان بن عبد الله الحنفي وصح ذلك في مجالس اخرها العشرين من صفر سنة ... وسمعه بالمدرسة العزية بالشرف الشمالي بدمشق المحروسة وسمع ابتداء من الكتاب من اول الكتاب الى اخر المقامة ... بدر الدين محمد بن معصوم المارديني المعروف بالشهرزوري واجاز المسمع للسامعين المذكورين رواية جميع ما يجوز له روايته بشرطه وكتب عبد الواحد بن ابرهيم بن عبد الرحيم العجمي عفا الله عنه وفي خطي ملحوظ ... عبد الله بن محمد بن ... وهو صحيح والحمد لله وحده وصلى الله على محمد ...

ملكها من فضل الله تعالى العبد الفقير الى الله تعالى
محمد بن يوسف احمد بن يوسف التقي المصري

استفتا ملا افندی حضرتلرینه قرهونک حقنده هجاء معموا ایله بعینه هجاء صحیح الله

بو جمله جواب ویرمشدر

لها قشرة زال شرها کلب ضمیر لدیها کلب لر

لها قشرة زال شرها ضمیر لدیها کلب مقیم